

مجلة التلميز

محتويات العدد

03	رئيس التحرير	الإفتتاحية
05	الدكتورة نور أفشار	درس من التنزيل
08	د.محمد مظفر حسين الندوي	كشمير! من الجمال إلى الكمال
11	عنايت الله نور الهدى	لمحات في الأدب العربي
19	ارشاد احمد بت شوبياني	هموم يوسف إدريس الاجتماعية في
24	د.محمد زبير كمال خان	الصورة الشعرية في رثاء العصر
29	محمد فريد	الرواية فن مهم لإصلاح المجتمع
32	بشارت أحمد شاهين	كتابة التاريخ المنتخبة للمصريين في
36	د.معراج الدين الندوي	إبراهيم عبد القادر المازني
44	محمد رفيق	زكاة الحلي
49	د.معراج الدين الندوي	الأسئلة التجزئية للاختبار التنافسي
51		سر السعادة / قصة قصيرة
52	شيخ جاويد أحمد	مساهمات محمد الغزالي في

ولقد قمنا بإصدار مجلة عربية بعنوان "مجلة التلميز: للدارسين والباحثين للغة العربية وآدابها في ربوع جامو وكشمير بالهند. كان هناك شعور متنامي منذ زمن بأن يقوم أحد علماء العربية في وطننا كشمير بإصدار مجلة عربية لمحبي اللغة العربية، فإن خطوتنا هذه تجاه إصدار المجلة تبشرنا بمستقبل أدبي صحفي زاهر. ان شاء الله _ وبالمناسبة نأمل لو نال هذا المشروع الميمون نجاحا ملحوظا ليكون ذلك فاتح عهد جديد في تاريخ الصحافة العربية في " جمو و كشمير".

فالحاجة الماسة الى بذل جهود مركزة لترقية اللغة العربية وتنميتها في جمو و كشمير، فنحن نرجو من حضرتكم المساعدة العلمية والأدبية والمالية وارسال مقالاتكم الشيقة والانجازات الأدبية وأرائكم الثمينة.

شكرا مع أطيب التحيات

د.معراج الدين الندوي

رئيس التحرير لمجلة التلميز (مجلة أدبية شهرية صادرة عن مركز الثقافة الندوية، جمو و كشمير بالهند)

هيئة التحرير

البروفيسور كفيل أحمد القاسمي	عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية، الهند
البروفيسور مسعود أنور علوي	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية، الهند
البروفيسور عبدالرحمن واني	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير
البروفيسور شاد حسين	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر
البروفيسور بيرزاده بشير أحمد	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر
البروفيسور صلاح الدين تاك	قسم اللغة العربية جامعة كشمير سرينجر
البروفيسور مظفر حسين الندوي	قسم اللغة العربية بالكلية أمرسينغ الحكومية سرينجر
البروفيسور عبد الرحمن وار	قسم اللغة العربية بكلية أمرسينغ الحكومية، كشمير سابقا
الدكتور محمد يوسف خان	الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية، عليكرة
الدكتورة تسنيم كوثر	الأستاذة المشاركة بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية،
د. قاضي عبدالرشيد الندوي	الباحث و الأكاديمي بالدوحة قطر
الدكتور شمس كمال أنجم	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري كشمير
د. فاروق أحمد مير القاسمي	الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة كشمير
عرفاني رحيم	رئيسة قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، كشمير

مجلة التلميذ
مجلة عربية أدبية شهرية
تصدر عن مركز الثقافة الندوية
بانتة جوك سرينجر كشمير

الرئيس العام

البروفيسور محمد صلاح الدين العمري

نائب الرئيس العام

الدكتور ريجان اختر القاسمي

الدكتورة نور أفشان الصالحاتي

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مساعدوه

1 - الدكتور محمد إرشاد الحق

2 - الدكتور عنايت الله واني الندوي

3 - د. محمد ريجان الندوي

تصدر عن مركز الثقافة الندوية، بانتة جوك سرينجر كشمير

NADAVIC CULTURAL CENTER PANTHA CHOWK SRINAGAR, KASHMIR 191101

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السعادة الحقيقية

الافتتاحية:

الحمد لله نعمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على حبيبه ورسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾¹ وقال تعالى ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾². وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس. (متفق عليه)³

فإن السعادة هي كلمة شديدة الفوران على ألسنة الناس وخفيف البيان، وعشيقه حبيبة إلى قلب كل إنسان، وهي غبطة وشعور داخلي يحسه الإنسان بين جوانبه يتمثل في هدوء النفس وسكينتها وطمأنينة القلب وقار خاطر، وانسراح الصدر، وراحة الضمير، وما من إنسان إلا وهو يسعى إلى استقصائها وتحقيقها في حياته، وتحقيق التنمية المستدامة وضمان جودة حياة عالية فأكثر الناس يظن أن السعادة والغبطة في المال والثراء، ومنهم من يتصور أن السعادة في أن يكون له بيت فاخر وممتاز وسيارة فاخرة، ومنهم من يعتقد أن السعادة في كثرة البنون والحفداء، أو تكون له وجاهة في المجتمع، وعائلته وقبيلته أو يتبوا أعلى المناصب الحكومية وغير الحكومية، وحتى يظن بعضنا أن يكون رئيساً لجامعة أو مديراً لكلية ويظنها البعض الآخر في أن يتزوج امرأة ذات مال وجمال وللناس فيما يعشقون مذاهب مختلفة.

كلنا يسعى للسعادة..... فبعضنا يظن السعادة بالمال الوفير..... وبعضنا يظن السعادة بجمال الوجه والجسم..... وبعضنا يظن السعادة بالسفر والرحلات ولقاء الأصدقاء، ولكننا لو نظرنا إلى آيات القرآن الكريم المباركة ترشد كل أحد يريد السعادة في الدنيا والآخرة إلى أن يعمل من أجلها و يجعل مقامه في الدنيا معبراً للآخرة ولم تله الدنيا وزينتها عن الآخرة، فالآيات القرآنية تدلنا على السعادة الحقيقية بكل وضوح قائله: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا

¹ (النحل: 97)

² (طه: 123، 124)

³ صحيح البخاري «كتاب الرقاق» باب الغنى غنى النفس، وصحيح مسلم «كتاب الزكاة» باب ليس الغنى عن كثرة العرض

{يَعْمَلُونَ} هود:15-16] وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * وقال تعالى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ"

سر السعادة في ثلاث:

عن سلمة بن عبید الله بن محصن الخطمي ، عن أبيه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ أَمِنًا فِي سِرِّهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا⁴ إنه تلخيص بليغ لأسباب السعادة، أمن، عافية، قوت يوم، وتبقى الفجوة بين الامتلاك، والرضا، بين ما لدى الإنسان، وما يريده.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: " ما بقي لي من نعيم الدنيا إلا ثلاث : أخ ثقة في الله أكتسب من صحبتته خيرا إن رأي زائغا قومي أو مستقيما رغبي ، ورزق واسع حلال ليست لله عليّ فيه تبعة ولا لمخلوق عليّ فيه منه ، وصلاة في جماعة أكفى سهوها وأرزق أجرها".

وقديماً قالوا: الشيطان يمنيك بالمفقود، لتكره الموجود، ولكن الإنسان يظل باحثاً عن هذا المفقود حتى إذا ما امتلكه تحول إلى شقاء موجود، وإذا كانوا قد قالوا أيضاً: إذا لم تستطع أن تعمل ما تحب، فأحب ما تعمل، فإن السعادة أيضاً تتحقق حين يسعد الإنسان بما لديه حين يعجز عن الحصول على ما يتمنى.

فكم من أشياء صغيرة لا نأبه لها ونراها ولا نشعر بجمالها، كما يشعر الأذكيا والفطناء بها. فلنحمد الله على ما أعطانا من نعيم كثيرة ولكننا تعودنا على وجودها في حياتنا فلم نشعر بطعم السعادة والغبطة والسرور بامتلاكها. ولننظر لمن حولنا ممن فقد الكثير من النعم، ومع ذلك نراهم حامدين الله شاكرين على ما أنعمه عليهم.

و صدق الشاعر الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقي هو السعيد

⁴ رواه البخاري في "الأدب المفرد" (رقم/300) والترمذي في "السنن" (2346) وقال : حسن غريب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدكتورة نور أفشان

درس من التنزيل

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)

سورة الشمس مكية، آياتها 15 وترتيبها بالمصحف الشريف الحادية والتسعون ونزلت بعد سورة القدر. محور السورة: تدور السورة المباركة حول موضوعين اثنين وهما: موضع النفس الإنسانية، وما جبلها الله عليه من الخير والشر، والهدى والضلال. وثانتهما: موضوع الطغيان ممثلاً في (ثمود) الذين عقروا الناقة فأهلكهم الله ودمرهم.

1- أقسم الله سبحانه وتعالى بالشمس وضوئها وإشراقها ضحى وحرارتها. قال مجاهد {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا}: أي وضوئها، وقال قتادة: {وَضُحَاهَا} النهار كله. قال ابن جرير: والصواب أن يُقال: أقسم الله بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار.

2- وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا {وَأَقْسَمَ الله سبحانه وتعالى بالقمر إذا تبعها في الطلوع والأفول، قال ابن عباس: يتلو النهار. أي إذا تلا الشمس، وحل محلها في إضاءة الأرض بعد غروبها. وقال قتادة: إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس روي الهلال. وقوله تعالى: {وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا} قال مجاهد: أضاءها، وقال قتادة: إذا غشيها النهار.

3- (وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا) وَأَقْسَمَ الله سبحانه وتعالى بالنهار إذا جلا الظلمة عن الأرض كلها وقيل إن المعنى: قسماً بالنهار إذا جلا الشمس وأظهرها وأتم وضوحها، إذ كلما كان النهار أجلى كانت الشمس أكمل وضوحاً. وقال ابن كثير: إذا جلا البسيطة وأضاء الكون بنوره.

4- (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا) وَبَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ السَّابِقَاتِ بِالضُّوءِ تَعْظِيماً لِأَمْرِهِ، أَقْسَمَ هُنَا بِاللَّيْلِ إِذَا غَطَّى الْكَوْنُ كُلَّهُ بِظُلَامِهِ، وَاللَّيْلُ يَغْطِيهِ وَيَسْتُرُهُ، قَالَ الصَّاوِي: وَأَتَى بِالْفِعْلِ مُضَارِعاً { يَغْشَاهَا } وَلَمْ يَقُلْ { غَشِيَهَا } مِرَاعَةً لِلْفَوَاصِلِ.

5- { وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا } وَأَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْقَادِرِ الْعَظِيمِ الَّذِي بَنَى السَّمَاءَ، وَأَحْكَمَ بِنَاءَهَا بِمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي التَّفْسِيرِ: { مَا } اسْمٌ مُوصُولٌ بِمَعْنَى " مَنْ " أَيْ وَالسَّمَاءِ وَمَنْ بَنَاهَا وَالْمُرَادُ بِهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَهُ { فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } كَأَنَّهُ قَالَ: وَالْقَادِرُ الْعَظِيمُ الشَّانَ الَّذِي بَنَاهَا، فَدَلَّ بِبَنَائِهَا وَإِحْكَامِهَا عَلَى وَجُودِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ

6- { وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا } وَأَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْأَرْضِ وَمَنْ بَسَطَهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، أَيْ جَعَلَهَا مُمْتَدَّةً مُمَهَّدَةً، صَالِحَةً لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ وَالْحَيَوَانُ بِهَا، وَبِمَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ نَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ

7- { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا } وَأَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ وَبِالَّذِي أَنْشَأَهَا وَأَبْدَعَهَا، وَجَعَلَهَا مُسْتَعِدَّةً لِكَمَالِهَا، أَيْ خَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيْمَةِ، تَمَامَ تَسْوِيَّتِهَا أَنْ وَهَبَهَا الْعَقْلَ الَّذِي تَمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالتَّقْوَى وَالْفُجُورَ وَالْكَذِبَ وَالصِّدْقَ.

8- { فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } أَيْ فَبَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلنَّفْسِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَأَعْطَاهَا الْقُدْرَةَ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا، وَالْقُدْرَةَ عَلَى اخْتِيَارِ أَحَدِهِمَا وَعَرَفَهَا الْفُجُورَ وَالتَّقْوَى وَمَا تَمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ رَشْدِهَا وَضَلَالِهَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَيَّنَّ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ، وَعَرَفَهَا مَا تَأْتِي وَمَا تَنْتَقِي .

9- { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } هَذَا هُوَ جَوَابُ الْقِسْمِ أَيْ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَنَمَّاهَا وَطَهَّرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ وَالرَّاذِلِ وَمِنْ دَنْسِ الْمَعَاصِي وَالْإِثَامِ، لَقَدْ فَازَ وَأَفْلَحَ .

10- { وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } أَمَّا مَنْ أَخْفَى فُضَائِلَ نَفْسِهِ، وَحَقَّرَهَا بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي وَأَمَاتَ اسْتِعْدَادَهَا لِلْخَيْرِ، بِفِعْلِ الْمَعَاصِي وَالْفُجُورِ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ.

11- { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا } ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلًا لِمَنْ طَغَى وَبَغَى، وَلَمْ يَطْهَرْ نَفْسَهُ مِنْ دَنْسِ الْكَفْرِ وَالْعَصْيَانِ، فَذَكَرَ قَوْمَ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ "ثَمُودٌ" فَقَالَ: كَذَّبَتْ ثَمُودُ نَبِيَهَا صَالِحًا بِسَبَبِ طَغْيَانِهَا وَبَغْيِهَا.

- 12- {إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا} أي حين انطلق أشقى القوم بسرعة ونشاط يعقر الناقة قال ابن كثير: وهو "قدار بن سالف وكان عزيزاً شريفاً في قومه، ورئيساً مطاعاً فيهم، وهو أشقى القبيلة.
- 13- {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ} أي فقال لهم نبيهم صالح عليه السلام {نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، واحذروا أيضاً أن تمنعوها من سقياها أي شربها ونصيها من الماء .
- 14- {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} وَإِقْدَامُهُمْ عَلَى عَقْرِ النَّاقَةِ دَلِيلٌ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهُمْ صَالِحاً فِيمَا قَالَ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ النَّاقَةَ نَاقَةُ اللَّهِ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِمْ آيَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوتِهِ وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحاً وَقَتَلُوا النَّاقَةَ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى تَحْذِيرِهِ
- 15- {فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ} أي فأهلكهم الله سبحانه وتعالى ودمرهم عن آخرهم بسبب إجرامهم وطغيانهم قال أهل اللغة والفصاحة: والدمدمة: هلاكٌ باستئصال والمعنى أطبق عليهم العذاب طبقاً فلم ينفلت منهم أحد.
- 16- {فَسَوَّاهَا} أي فسوى بين القبيلة في العقوبة فلم يفلت منهم أحد، لا صغير ولا كبير، ولا غني ولا فقير.
- 17- {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} أي ولا يخاف ربك يا محمد عاقبة إهلاكهم وتدميرهم، كما يخاف الرؤساء والملوك عاقبة ما يفعلون، لأنه سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل.

المراجع و المصادر

- 1- تفسير أيسر التفاسير / د. أسعد حومد (ت 2011م)
- 2- تفسير معالم التنزيل/ البغوي (ت 516 هـ)
- 3- تفسير البحر المحيط/ ابو حيان (ت 754 هـ)
- 4- تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ السيوطي (ت 911 هـ)
- 5- تفسير زاد المسير في علم التفسير/ ابن الجوزي (ت 597 هـ)
- 6- تفسير المنتخب في تفسير القرآن الكريم / لجنة القرآن و السنة ، لجنة من علماء جامعة الأزهر
- 7- تفهيم القرآن للشيخ أبي الأعلى المودودي

كشمير! من الجمال إلى الكمال

(الحلقة الثانية)

الدكتور محمد مظفر حسين الندوي⁵

ذكر العلامة عبد الحي الحسني المفتي صدر الدين أزرد الكشميري (1204هـ) وعده نادرة دهره في كل علم ووصفه "بالعالم الكبير" العلامة، لم يصنف صاحبنا مؤلفات كثيرة إلا أنه صنف رجلاً عماليق منهم مولانا قاسم شاه النانوتوي مؤسس دارالعلوم بديوبند و مولانا خيرالدين والد مولانا آزاد السياسي المعروف. واستفاد من علمه غالب الشاعر والسيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة الإسلامية. ترك خلفه فتاوى كثيرة و "منتهى الحال في شرح حديث لا تشدوا الرحال" و "الدر المنضود في حكم الإمارة المفقور".

كان رحمه الله يرتجل الشعر بالعربية فمن نموذج شعره:

وكنا كغصني بانه قد تأنقا على دوحة حتى استطالا وأينعا
يغنيها صدح الحمام مرجعا ويسقيهما كأس السحاب مترعا

كان لمفتي هذا ترب شاعرو ناظم يدعى بمصطفى خان (1208هـ) الملقب بـ "بختور" من حفدة حيدر خان القاضي الذي ساهم في ترقية اللغة العربية بتأليفه كتابا في النحو العربي ونظم الكافية وله قصيدة في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني تتكون من أربعين شعرا نذكر بدايتها يقول :

الشيخ عبد القادر ابن النبي الطاهر
الناصر المستنصر صلوا عليه دائما
لقبه محي الدين جا بالجاء والتمكن جا
من عترة الياسين جا صلوا عليه دائما

و من المؤلفين الكشميريين المكثرين هو الشيخ أحمد الواعظ (ت 1290هـ) الذي ترك خلفه أكثر من مائة مؤلف منه: "عين الباري في شرح أربعين القاربة" و "التعليق على صحيح البخاري" و "شرح ثلاثيات البخاري" و "شرح شمائل الترمذي" و "شرح نصوص الحكم" و "شرح هداية النحو" و "رسالة قرّة العين" و كما له "المخمس اللطيف في تعريف الآثار الشريف" تتكون هذه القصيدة من 164 بيتا تبدأ على النحو التالي:

قد بدا شمس النبوة ضحو الآثار الشريف قد حكي الاعجاز حقا فحوى الآثار الشريف
وله قصيدة لامية يقول فيها:

بأصناف المحامد أحمد الله على تحسين حالي كل حال

⁵ الأستاذ بقسم اللغة العربية بالكلية أمرسينغ الحكومية سرينجر و من علماء كشمير البارزين الذين ساهموا في نشر اللغة العربية وآدابها وقاموا بخدمات ومآثر جميلة في مجال التأليف والتصنيف والترجمة والبحث والتحقيق.

نبي سيد الرسل الكرام
كفى في نعته أثنى عليه
حبيب الحق حقا ذوالجمال
وصلى رب العرش ذو الجلال

أما القرن الرابع عشر فقد جاء بأثمار يانعة غضة طرية من حيث انتاجات العلماء الكشامرة في العلوم الدينية والآداب باختلاف لغاتها ، وفي طليعة هؤلاء العلامة أنور شاه الكشميري الذي لا يحجل عنه إلا جاهل فهو من آيات حقيقة دين الاسلام في رأي الشيخ أشرف على التهانوي وهو فقيد المثال والبحر المواجه والسراج الوهاج في نظر شبير أحمد العثماني المفسر ولم ير مولانا حسين أحمد المدني أحدا مثله في الاستبحار والاحاطة بسائر العلوم العقلية والعقلية بالهند ولا بالحجاز والعراق والشام، وهو أعرف من أن يعرف، له مؤلفات جمّة مطبوعة سار بها الركبان وخاصة كتابه " فيض الباري شرح صحيح البخاري" في أربعة أجزاء ضخام وأماله على صحيح مسلم كم له قصائد عربية كثيرة جلها في رثاء أساتذته ومدحهم ناكب فيها أمراً القيس في المتانة والأسلوب وضارع الخنساء في الرقة ولطافة الشعور ودقة الإحساس وعدد هذه الأشعار يربو مائتي شعر، وله مديحة نبوية طنانة غراء بدأها بالشعر الذي يلي:

برق تألق موهناً بالوادي
أسفا على عهد الحمى وعهاده
فاعتاد قلبي طائف الانجاز
تولى على الإبراق والإرعاد
رهم تناوح تارة ديم لها
حتى غدا الأيام كالأعياد

ورثى مولانا قاسم شاه النانوتوي بقصيدة بدايتها :

قفا يا صاحبي على الديار
وعوجا بالرباع أنس
فمن دأب الشجي هو ازديار
ففي المرأي لشيئ كاصطبار

وقال في مناقب مولانا عبدالرشيد الكنكوهي قصيدة تتضمن ثلاثين شعرا وهي تبدأ بالشعر الآتي:

قفا يا صاحبي على السفار
يسير بنشرها نفحات أنس
بمرأي من عرار أو بهار
ورياً عند محي من قطار

ورثى صاحبنا شيخه وأستاذه الشيخ محمود الحسن الديوبندي بستة وأربعين شعرا ناكب فيه أمراً القيس الملك الضليل يقول:

قفا نبك من ذكرى مزار فندمعا
قد احتفه الألفاظ عطفاً وعطفة
مصيفا ومشقي ثم مرأي ومسمعا
وبورك فيه مربعا ثم مربعا

وقد ارتجل قصيدة رنانة في مؤتمر جمعية العلماء انعقد عام 1341هـ وهي تحتوي على ستين شعرا . وقد تلمذ على صاحبنا طلبة من كشمير أصبحوا منارات في مجال العلم والدعوة في كشمير منهم مولانا ميرك شاه الإندرابي الكشميري (1306هـ) الذي كتب تفسيراً للقرآن الكريم في أربعة أجزاء وهو في صورة خطية، وفتح مغلفات ألفاظه على حاشية هذه الترجمة والتفسير سمّاها " مختار التراجم" .

كان لميرك شاه زميل وهو مير واعظ مولانا محمد يوسف شاه (1331هـ) وهو تلميذ العلامة أنور شاه الكشميري الذي تألق على أفق سياسة كشمير ونال صيتاً في العالم أجمع، أما في مجال العلم فقد ترك خلفه تفسيراً للقرآن الكريم باللغة الكشميرية وهو من أهم مآثره وله "تنوير المصابيح لركعات التراويح" بالعربية أثبت فيه أن صلاة التراويح هي عشرون ركعة وأثبت نفسه كأقوى مدافع عن المذهب الحنفي مثل أستاذه أنور شاه وزمليه ميرك شاه.

وساهم نور الدين الوازهبوري الكشميري (1311هـ) في اللغة العربية بكتابة "تحفة الإخوان" ذكر فيه الأعمال التي تلزم على المسلم كما ساهم بتفسيره القرآن الكريم باللغة العربية الذي لم يتم سمّاه "نور التفاسير" وكما له "نور البيان في توضيح القرآن" وهو أكبر حجماً من تفسيره، وهو معجم القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس .

ورتب المولوي محمد حسن بن ولي الله خطبات الجمعة في أسلوب رصين متين مقفئ مسجئ يقرأها الخطباء أيام الجمعة وبما تمتاز هذه الخطبات فهو ترتيبها حسب المناسبات المختلفة وهي أكثر رواجاً بكشمير للاحتياح إليها وهي مجموعة الأحاديث والآيات الكريمة وحمد الله والصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وله أربعينات كثيرة في فضائل الصحابة وأهل البيت والعلماء والأولياء. ولا ننسى هنا مساهمة مولانا غلام حسن القاضي الهندواري الكشميري في اللغة العربية، وله "بديع النخبة في توضيح قيام الجمعة" بالأردية ذكر فيه أن قيام الجمعة في القرى غير جائز إلا أن صاحبنا أتحف هذا الكتاب بحمد الله وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في صورة قصيدة عربية يبدأها بالشعر الآتي:

نحمدك يا ذا الجود من لا مثال له	هو موجد الكائنات من العدم
والصلوة والسلام على رسوله الكريم	قرشي الأبطي الهاشمي الرحم
وآله الطيبين وصحبه الخيار	هم قناديل الهدى في الظلم

وقد رافق الحظ مولانا قاسم شاه البخاري (1910-1999م) فقام بتأليف كتب ورسائل كما قام بترجمة "ورد المريدین" لمولانا الخاكي إلى العربية نظماً، تحتوي على 363 بيتاً وكتب لها مقدمة طيبة بدأها بالشعر التالي:

لأمجاد من بخارى التماس للدعاء	فالرجاء من رحيم كونه له غافرا
سادتي ما رمت تعريب قصيدة شيخنا	شيخ خاكي قد مدح شيخ حمزة مؤثرا

والله أعلم إن شاء الله

لمحات في الأدب العربي: بين القديم والحديث

عنايت الله نورالهدى⁶

الأدب هو نتاج العقول الثاقبة والأفكار السليمة والقرائح الوقادة، فهو مرآة الحياة، يصور ما فيها من أفراح وأتراح وآمال وأحزان ومن خير وشر. يعكس الأدب ما يقع في المجتمع الإنساني من أحداث ووقائع وخطوب ويصور ما تستجد فيه من المستجدات وما يحدث فيه من التغييرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية.

الأدب العربي هو أدب أصيل وعريق، له جذور متأصلة وقديمة، وله مقومات وأصول ثابتة، وله كيان خاص وشخصية خاصة، يتكيف بكيفيات كل زمان ومكان، ويتغلب بمرونته على صروف الدهر، وصعوبات الحياة، ويواصل سيره نابضا بالحياة، متضخما بما ينضم إلى مجراه من شتى التفاعلات البشرية والنزعات الأدبية والاتجاهات الفكرية، ومواكبا التطورات والاختراعات العلمية والتقنية المتنوعة.

مر الأدب العربي بعصور مختلفة قسمها المؤرخون إلى عصور تاريخية متعددة فقسم معظمهم إلى خمسة عصور، من العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر العباسي وعصر الانحطاط والعصر الحديث،⁷ نظرا إلى البيئات الاجتماعية والسياسية المختلفة التي مر بها، وقسم البعض الآخر إلى أدب قديم وأدب مخضرم وأدب مولد وأدب محدث من منظور أصالة اللغة.⁸ ولكني أنا أقسمه إلى قسمين: الأدب القديم والأدب الجديد، كما فعل بعض المؤرخين في العصر الحديث مثل الأديب والمؤرخ حنا الفاخوري حيث قسم كتابه في تاريخ الأدب العربي إلى قسمين الأدب القديم والأدب الجديد ولما أن النقد اعتبروا الأدب ما قبل النهضة أدبا قديما وما بعدها أدبا حديثا وأثاروا قضية القديم والجديد.

الأدب القديم:

يطلق الأدب القديم على الأدب الذي تم إنتاجه قبل النهضة في عام 1798 م. ويمكن تقسيم هذا الأدب إلى عصور متعددة لما نشأ وتطور في بيئات اجتماعية وثقافية وسياسية مختلفة عبر قرون ودهور. فالأدب الذي ورثناه عند مجيء الإسلام عام 608 م، يطلق عليه أدب العصر الجاهلي لما كان الجهل الديني فاشيا عند سواد الشعب وكان الجلم لم يعرفهم في معاملاتهم في الحياة، وإن هذا الأدب وجدناه في حالة نضج واكتمال، في نوعين، الشعر والنثر، وكان الشعر في كثرة، وأما النثر فقليل.

⁶ الباحث في الدكتوراه في جامعة جواهر لال نهرو، بنيدلبي

⁷ - تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي لشوقي ضيف، ص 14.

⁸ - الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، لحنا الفاخوري، ص 38

كان الشعر العربي الجاهلي هو الأثر العظيم الذي حفظ لنا حياة العرب الاجتماعية والسياسية والثقافية. "فكان ديوان علمهم ومنتى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون"⁹ ومن أهم الشعراء المعروفين في التاريخ هم امرؤ القيس وطرفة بن العبد البكري وزهير بن أبي سلمى ولبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد العبسي والحارث بن حلزة اليشكري والأعشى والناطقة الذبياني وعبيد بن الأبرص وغيرهم. وإن قصائدهم الشهيرة متناولة بين أيدينا باسم المعلقة السبع أو المعلقة العشر، وإن هذه المعلقة هي خير القصائد الجاهلية وكانت علفت بأستار الكعبة لتكون مثالا يحتذى به ونهجا يتبع.

وكانت الموضوعات التي كان الشعراء يقرضون فيها أشعارهم هي المدح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والغزل والاعتذار والحكمة. وكانت القصيدة الواحدة في معظم الأحيان تشمل عددا من الأغراض المذكورة.¹⁰

وكانت الخواطر التي يقدمها الشعراء في أبياتهم متنوعة ومن أهمها بيان الجود والكرم والشجاعة ووفاء الأصدقاء والبساطة في العيش، والقلق والألم وطول الليل ونهاية الإنسان ومصيره وغير ذلك.¹¹ وكانت هذه المعاني واضحة ليس فيها تعقيد ولا تكلف، كما كانت متميزة بالاعتدال وعدم المبالغة وملتصقة بالمحسوس من الأشياء ومبتعدة عن الجدال العقلي.

وأما أسلوب الشعر في هذا العصر فالقصيدة الشعرية متميزة بذكر الأطلال والوقوف عندها وأضرب لكم مثلا قول امرئ القيس في بداية قصيدته المشهورة في المعلقة:

قفأ نبك من ذكرى حبيب ومزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال¹²

وهذا هو المنهج الذي انتهجه الشعراء في قصائدهم ولم يشذ عن ذلك إلا القليل. وأما ألفاظ الشعر فكانت قوية في مواقف الحروب والحماسة والمدح والفخر ولينة في الغزل والرثاء، وكانت مفهومة في معظمها إلا القليل تغلب عليه الغرابة كما كانت التراكيب محكمة البناء ومتينة النسيج ومتراصة الألفاظ وخير شاهد على ذلك شعر الناطقة الذبياني، وشعر زهير بن أبي سلمى. كما كان الشعر الجاهلي يتصف بالإيجاز وعدم الإطناب فهم يعيشون الإيجاز في القول لأنهم يعتمدون على الحفظ والسمع.¹³

⁹ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، ص 23 ج 1.

¹⁰ - الأدب العربي وتاريخه، العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، والعصر الأموي، للدكتور عبد العزيز بن محمد الفيصل، ص 59.

¹¹ - الأدب العربي وتاريخه، العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، والعصر الأموي، للدكتور عبد العزيز بن محمد الفيصل، ص، 69.

¹² - شرح المعلقة السبع للحسين الزوزني، ص، 35م.

¹³ - تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص، 27.

وأما النثر فكان متمثلاً في الخطابة والأمثال والحكم وسجع الكهان. وكانت الخطابة هي أبرز أنواع النثر. وكان الخطباء يحتلون مكانة عالية عندهم لما كانوا يملكون زمام الفصاحة والبلاغة ويتميزون بثبت الجنان وحضور البديهة. وكانت الخطبة يغلب عليها السجع، فكانت تتكون من جمل قصيرة مسجوعة متوازنة كما نلاحظها في خطب قس بن ساعدة الإيادي وعبد المطلب وهانيء بن مسعود الشيباني وغيرهم.¹⁴

عندما جاء الإسلام وبعث النبي الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم برسائله السمحاء ونزل عليه القرآن العظيم تغير مجرى الأدب العربي. ومع أن الموضوعات بقيت كما كانت ولكن المعاني كلها تغيرت فكان الهدف الهادف هو إبلاغ رسالة الإسلام الصافية والانتصار لها، فكان المدح هو مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وكان الهجاء هو هجاء كفار وكان هذا الهجاء ردا عليهم لما كانوا يهجون الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الشعراء المسلمون أمثال حسان بن ثابت يتصدى للرسول صلى الله عليه وسلم ويدافع عنه ومن هنا نشأت ظاهرة شعر النقائض، وهي ظاهرة جديدة ترسخت قوائمها في العصر الأموي. وكان الفخر هو الافتخار بأصول الإسلام ومبادئه والإيمان وأسسها، وكانت الحماسة هي لتشجيع المسلمين القاتلين في الغزوات. ونشأ من هنا شعر الدعوة والفتوح الإسلامية. وأما الرثاء فكان للمسلمين الشهداء في سبيل إعلاء كلمة الله.

فكان الأدب بنوعيه الشعر والنثر مسخرا لخدمة الإسلام وعقائده الثابتة. فاستمد معانيه من القرآن وقول الرسول صلى الله عليه وسلم. وشمل الألفاظ الجديدة والتراكيب المتينة السلسلة من الكتاب والسنة مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج والركوع والسجود والجنة والنار والكفار والفاسق ومثل "الآن حمي الوطيس" و "لا يلسع المؤمن من جحر مرتين" وغيرها كثر. فكانت الألفاظ والتراكيب سهلة وخالية من الصنعة والتكلف، وسلسلة ورائعة ومفهومة وبعيدة عن الغرابة.

فمن أشهر الشعراء في هذا العصر هم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم. ومن أعظم الخطباء هم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأبوبكر الصديق، وعمر الفاروق، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم أجمعين.

وكانت كتابة الرسالة صنفاً جديداً للنثر، ظهر في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. ومع أن الكتابة معروفة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ولكنها قليلة جداً. فقد وسعها الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بكتابة الرسائل إلى الأمراء والملوك وعمال الدولة والقواد والقضاة. وكانت هذه الرسائل تشمل على الوصايا والتعليمات والمناشير التي تعمم للمسلمين. وكانت سهلة العبارة، وخالية من عبارات التفخيم، كما كانت خالية من التكلف.¹⁵

¹⁴ - الأدب العربي وتاريخه، العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي والعصر الأموي، للدكتور عبد العزيز بن محمد الفيصل، ص 164-165.

¹⁵ - الأدب العربي وتاريخه، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر الأموي للدكتور عبدالعزيز بن محمد الفيصل، ص، 256-257.

وفي العصر الأموي، الذي يبتدىء بخلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عام 41هـ، ويمتد إلى مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عام 132هـ/750م، ازدهر الأدب العربي ازدهارا واسعا لأسباب اجتماعية وسياسية وثقافية. فتوسعت الفتوحات الإسلامية ودخل العجم في الإسلام أفواجا، وأتوا بما معهم من ثقافتهم وحضاراتهم وعاداتهم في الحياة ولهجاتهم في اللغة. كما تعددت الأحزاب السياسية من حزب الزبيرين، وحزب الخوارج، وحزب الشيعة، وحزب بني أمية وغيرها.¹⁶

فالشعر في هذا الزمن كان أسلوبه لم يتغير كثيرا بل بقي في معظمه كما كان في العصرين السابقين إلا بعض التفنن فدخلت فيه ولكن تغير كثيرا من حيث الموضوعات والأغراض. فتوسعت معاني شعر المدح والحماسة والوصف والهجاء وتطور صنف النقائض كفرع وميدان فسيح للشعراء يتعاركون فيه، فكانت المساجلات الشعرية تعقد بين جرير والفرزدق، وبين الأخطل والجريز. وكذلك نشأت صنوف جديدة للشعر من الغزل الصريح والغزل العذري وشعر اللهو والمجون وشعر الزهد وشعر الطبيعة وغيرها. وأشهر الشعراء في هذه الأصناف بالترتيب هم: عمر بن أبي ربيعة، جميل بن معمر، أبو الأسود الدؤلي، الوليد بن يزيد، وذو الرمة وغيرهم.¹⁷

وأما النثر فتطور تطورا واسعا حيث ازدهرت الخطابة ونما التدوين نموًا واسعا وكثرت الرسائل كثرة مفرطة وخاصة الرسائل السياسية، وظهرت الكتابة الديوانية واشتهر فيها عدد من الكتاب مثل عبد الحميد الكاتب.¹⁸

وإن العصر العباسي يعد عصرا ذهبيا لسبب كثرة التأليف والترجمة وشيوع العلوم والفنون المتنوعة. فقد تم تأسيس بيت الحكمة لتدوين الكتب وترجمة الكتب الأعجمية ونقل العلوم والمعارف لأقوام غير العرب إلى العرب.

أما الأدب العربي فهو أيضا ازدهر ازدهارا واسعا وبلغ أوج عظمته في النصف الأول لهذا العصر لما كان الخلفاء والوزراء يشجعون الشعراء ويمنحونهم العطايا والهبات. فتوسع الشعر في المعاني والأغراض حيث أبدع الشعراء في معاني الوصف وتغلغلوا في المعركة السياسية حتى قيدوا الحياة السياسية في المنظومات الشعرية وأدخلوا في شعر الرثاء فلسفة الموت والحياة وأضافوا صنفا جديدا وهو الشعر التعليمي فنظموا العلوم والمعارف، وثاروا على نظام القصيدة العربية وجعلوا يبدأون القصيدة بالخمركما جددوا في أوزان الشعر فلم يقتصر على بحور الخليل بل نظموا على عكسها كالمستطيل والممتد وهما عكس الطويل والمديد وكذلك أكثروا من استعمال البحور الشعرية القصيرة والخفيفة ونظم المقطعات القصيرة كما نظموا في صنف جديد وهو المؤشحات. وكان الأندلسيون

¹⁶ - تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، ص 290-346.

¹⁷ - تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، ص، 347-394.

¹⁸ - المصدر السابق، ص، 405-465.

برعوا في هذا الفن فإنه تطور تطورا واسعا في الأندلس. ومن أشهر الشعراء في هذا العصر هم أبو تمام والبحري والمتنبي وغيرهم. وفي نهاية هذا العصر بدأ الضعف يدخل في الشعر لسبب انتشار العجمة وإغراق الشعراء في الصناعة اللفظية والألغاز والتورية والمحسنات البديعية.¹⁹

وأما النثر فقد تنوعت فنونه وتوسعت، فجال الخطباء وصالوا في ميدان الخطابة، وتطورت الكتابة الفنية تطورا هائلا، وظهرت الرسائل الإخوانية مع الرسائل الديوانية، فكانت الكتابة الفنية في بداية الأمر سهلة وسلسة خالية من السجع والمحسنات ولكن في نهاية العصر بدأ يدخل فيها السجع والمحسنات البديعية والألغاز والتورية والجناس. ومن أشهر الكتاب هم عبدالله بن المقفع والجاحظ وابن العميد والقاضي الفاضل. ومن أشهر المؤلفات الأدبية والنقدية في هذا العصر هي: كتاب كيلة ودمنة لابن المقفع، والبيان والتبيين للجاحظ، والمبرد للكمال والشعر والشعراء وأدب الكاتب لابن قتيبة والوساطة بين المتنبي وخصومه لعبد القاهر الجرجاني، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر. وكما نشأت توقيعات الأمراء والوزراء كقطع أدبية، وكذلك ظهرت كتابة المقامات بأسلوبها الخاص المملوء بالصناعة اللفظية من جناس وطباق والتزام تام بالسجع، واشتهر فيها بديع الزمان الهمزاني والحري وغيرهم.²⁰

ومنذ سقوط بغداد بأيدي التتار بدأ الانحطاط للأدب العربي وفنونه المختلفة وكان باقيا على وضعه البئس حتى النهضة الحديثة في عام 1798م. فكان الشعر في حالته السيئة مكبلا بقيود المحسنات البديعية ومملوءا بالألغاز ومتسما بضعف الابتكار وكثرة السرقات. ولم يكن أي تجديد في المعاني والموضوعات، فكانت المعاني متكررة ومبتذلة، والموضوعات سافلة، فكان الشعراء لا يسبقون إلا في تفنن القوافي والأوزان والبحور والصناعة اللفظية والزخرفة والتنميق. ومع أن النثر الأدبي أيضا أصبح مكبلا بألوان السجع والمحسنات البديعية ولكن كانت هناك خدمات لغوية ملموسة فكتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ولسان العرب لابن منظور من التراث الأدبي اللغوي من هذا العصر.²¹

الأدب الحديث:

يعد الأدب العربي المنتج فيما بعد النهضة التي حصلت بسبب اتصال العرب بالغرب والتبادل الثقافي والحضاري فيما بينهم بعد حملة نابليون في مصر عام 1798م، أدبا حديثا لما أنه دخلت فيه عناصر الحداثة والجدة من نواحي مختلفة، ولما أنه تسربت إليه نزعات متعددة وأفكار متنوعة لم يكن

¹⁹ - تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، لشوقي ضيف، ص، 159-193. و تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، لشوقي ضيف، ص، 203-246.

²⁰ - تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، لشوقي ضيف، ص، 441-507 و تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، لشوقي ضيف، ص، 513-623.

²¹ - الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، لحنا الفاخوري، ص، 1024-1051.

الأدب العربي يعرفها من قبل، ولما أنه توسع الأدب العربي في المعاني والموضوعات والأغراض كما تنوع في الشكل والهيكل.

فكان الشعر العربي الذي فقد روعته وبهجته بسبب الجمود الذي طرأ عليه في عصر التتار و لكونه مكبلا بقيود القوافي والأوزان والمحسنات البديعة والجناس والطباق، ومتقلبا بين الاقتباس والتضمين والتشطير والتخميس، بدأ ينهض ويعيد حياته بسبب عناية الشعراء الذين أولوا به اهتماما بالغاً وأخرجوه من ربة الكساد والجمود، وجعلوه شعرا وجد فيه الشعب آمالهم وأحزانهم، وأحوالهم السياسية والاجتماعية وأخبار العالم وخطوبه كما وجدوا فيه مشاعرهم المكبوتة وأحاسيسهم الكامنة في صدورهم. فكان الشعراء أمثال محمود صفوت الساعاتي وعلي أبي النصر وعبد الله فكري وعبدالله نديم، وعائشة التيمورية نهضوا بهذه المساعي في سبيل تحرير الشعر وتفكيك أكبال البديع والضعف والركاكة ولكنهم لم ينجحوا نجاحا كاملا، ولكن الشاعر الفذ محمود سامي البارودي، والذي يعد رائد التجديد في الشعر العربي الحديث، وأتباعه حافظ بك إبراهيم وأحمد شوقي و خليل مطران هم الذين خلصوا الشعر من التقليد السيئ، ومن حالتها الركيكة والضعيفة. وهؤلاء هم يعتبرون أصحاب النهضة والإحياء. وإن هؤلاء الشعراء أعادوا إلى الشعر سيرته الأولى وشبابه الذي كان في العصر العباسي الذهبي وأرجعوا إليه شكله وهيكله. ومع أنهم توسعوا في الموضوعات والمعاني وضمنوه عواطف الشعب ومشاعره الدينية والإسلامية وجهوده في سبيل الحرية والاستقلال وجعلوا الشعر شعر الشعب بعد ما كان في العصر العباسي شعر القصر، ولكنهم كانوا ينظمون القصائد ملتزمين بقوانين الأوزان والقوافي التقليدية. وقد سمي النقاد أدب هؤلاء الشعراء بالكلاسيكية الجديدة كما اعتبروا الأدب فيما قبل النهضة الكلاسيكية القديمة.

وجاء بعد هذه الفئة من الشعراء فئة جديدة هاجمت عليها وعلى تقليدها للشعراء القدامى في الأوزان والقوافي ودعوا إلى التفنن في الأوزان وإلى التنوع في القوافي كما انقضوا عليهم لسبب تناولهم المعاني المتداولة والمشاعر العامة للشعب، ونادوا إلى التعبير عن النفس بمعنى الإنساني العام وما تضطرب به من خير وشر وألم ولذة، وإلى التعبير عن الطبيعة وحقائقها وأسرارها المبتوثة فيها. وبهذا إنهم أدخلوا في الشعر العربي النزعة الجديدة الغربية هي النزعة الرومانسية. وكان من أهم الشعراء في هذه الفئة هم عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري وغيرهم وكانت هذه الفئة أسست مدرسة أدبية معروفة بمدرسة الديوان. وجاء بعدهم جماعة أبولو الذين حملوا لواء التجديد في الشعر وكان من أهم أعضائها أحمد زكي أبوشادي وإبراهيم ناجي وعلي محمود طه وغيرهم كثير.

وكانت قد تألفت هناك جماعات متعددة في المهجر، أمثال الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية، التي عيّنت بالشعر عناية كبرى ووجدت في معانيه وشكله وكانت الرومانسية هي السمة الغالبة لأشعارهم ومن أشهر الشعراء في هذه الجماعات هم جبران خليل جبران، إيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمة، وأمين الريحاني وغيرهم.

فتنوع الشعراء في الأوزان والقوافي فكان هناك الشعر الحر والشعر المرسل والشعر التمثيلي كما تنوعوا في المعاني والأفكار والأغراض فدخلت في الشعر المذاهب الرمزية والواقعية والسريالية، كما تسربت إليه الاتجاهات الماركسية والاشتراكية وغيرها.²²

وأما النثر فإنه أيضاً تحرر من قيود السجع والمحسنات البديعية وبسط الكتاب والأدباء في أساليب كتاباتهم تبسيطاً وكتبوا في موضوعات حديثة واستلهموا فيها من ثقافات ومعارف غربية وسلكوا فيها مسلك الغرب في الكتابة وأوغلوا في أنواع التجديد حتى ذهب البعض إلى إدخال العامية واللغة الدارجة فيه، (الأمر الذي أصبح جدلاً عظيماً بين الأدباء والكتاب والشعراء، وأخذ صورة الصراع بين الجديد والقديم، واحتدم هذا الصراع بين طه حسين والرافعي، وبين الرافعي وسلامة موسى، وبين العقاد وشوقي)²³ وتنوعت أصناف النثر فنشأت المقالة والقصة القصيرة والأقصوصة والرواية والمسرحية وغير ذلك. فنشأ هناك عدد ضخم من الأعلام الذين جالوا في مضمار فن النثر وصالوا ومن أهم هؤلاء الأعلام، محمد عبده ومصطفى لطفي المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي وأحمد لطفي السيد وإبراهيم عبد القادر المازني ومحمد حسين هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوي وعبد الرحمن منيف وغيرهم كثير.²⁴

الختام:

هذا، وإن الأدب العربي ما زال يزدهر ويتطور عبر عصور وأزمان، إلا مدة زمنية خاصة طرأ عليه الجمود والفتور فيها لأسباب سياسية وثقافية، وما زالت تتوسع آفاقه من جميع النواحي من ناحية الأساليب ومن ناحية الموضوعات والمعاني ومن ناحية الأشكال والهيكل، ولا يزال ينضم إليه كل ما يأتي إليه من الأفكار والنزعات والتيارات، ويظل يسع كل ما يستجد في العالم بأسره من المخترعات والتطورات والمستجدات، ودائماً كانت له أعوان وأنصار في شكل الكتاب والأدباء والنقاد الذين تسببوا لتنميته وازدهاره، وحافظوا عليه ودافعوا عنه من مؤامرات سيئة من الأطراف المختلفة. وإنه من وسع هذا الأدب وإمكاناته أن يكون أدباً عالمياً و نموذاً يحتذى ومثالاً يقتدى، إن يجد فرصاً

²² - الأدب العربي المعاصر في مصر لشوقي ضيف، ص، 38- 79

²³ - تحت راية القرآن للرافعي، فيض خاطر لأحمد أمين، الجزء الثامن والعاشر، حديث الأربعاء، وحافظ وشوقي لطه حسين، ثورة الأدب لمحمد حسين هيكل، اليوم والغد لسلامة موسى. ساعات بين الكتب للعقاد.

²⁴ - الأدب العربي الحديث للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الجزء الرابع، ص، 7- 21. والجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، لحنا الفاخوري، ص، 152- 367.

سانحة أمامه، وميدانا واسعا حرا لا يعوقه أي عائق، ويتصدى له الأدباء والنقاد مخلصين له، يخلصونه من الأمركة والفرنسة وغيرها ويؤسسون منظمات ويؤلفون جماعات تعنى به وبمشكلاته وتوجد الحلول لها.

المصادر والمراجع

1. أمين، أحمد: فيض الخاطر، الجزء الثامن، والجزء العاشر، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
2. الجمحي، محمد بن سلام: طبقات فحول الشعراء، شرح محمد شاکر، المجلد الأول.
3. حسين، الدكتور، طه: حافظ وشوقي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
4. حسين، الدكتور، طه: حديث الأربعاء، الجزء الأول والثاني، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.
5. خفاجي، الدكتور، محمد عبد المنعم: الأدب العربي الحديث، الجزء الرابع، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
6. خفاجي، الدكتور، محمد عبد المنعم: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، الجزء الأول والثاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م.
7. الرافعي، صادق مصطفى: تحت راية القرآن، المكتبة العصرية بيروت، 2002م.
8. الربيع، الدكتور، محمد بن عبد الرحمن: الأدب العربي وتاريخه، للسنة الثانية الثانوية، الطبعة الثانية، 1420هـ.
9. الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، الطبعة الثالثة عشرة، 2009م، دارالمعرفة، بيروت، لبنان.
10. ضيف، الدكتور، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، الطبعة السادسة عشرة، دارالمعارف، القاهرة.
11. ضيف، الدكتور، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، الطبعة الثالثة عشرة، دارالمعارف، القاهرة.
12. ضيف، الدكتور، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، الطبعة الثامنة، دارالمعارف، القاهرة.
13. ضيف، الدكتور، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الطبعة الثامنة عشرة، دارالمعارف، القاهرة.
14. ضيف، الدكتور، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، الطبعة التاسعة، دارالمعارف، القاهرة.
15. العقاد، الدكتور، عباس محمود: ساعات بين الكتب، دارالكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م.
16. الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، الطبعة الأولى عام 1986م، دارالجيل، بيروت.
17. الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، الطبعة الأولى عام 1986م، دارالجيل، بيروت.
18. الفيصل، الدكتور، عبدالعزيز بن محمد: الأدب العربي وتاريخه، للسنة الأولى الثانوية، الطبعة الثانية، 1420هـ.
19. موسى، سلامة: اليوم والغد، سلامة موسى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1928م.
20. هيكلي، محمد حسين، ثورة الأدب، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة.

هموم يوسف إدريس الاجتماعية في ضوء رواياته ومسرحياته (دراسة تحليلية)

ارشد احمد بت شوبياني²⁵

كان يوسف إدريس²⁶ من الأدباء المفكرين الذين في قلوبهم هم لإصلاح المجتمع، الذين وهبوا قوة نادرة و بصيرة نافذة لرؤية مكامن الضعف والعيب وحساسية بالغة لمعرفة مواضع الألم والوجع والداء ومقدرة فائقة للتعبير الفني عن خلجات نفوسهم. فإنما الدارس يجد في جميع كتاباته كأنه يحمل هما لإصلاح المجتمع عن طريق كشف الظروف التي تعمل في تشويه الصورة الطبيعية للمجتمع. فسواء كانت قصصه أو رواياته أو مسرحياته أو مقالاته، في جميعها يحاول التعبير عن همومه التي تستبد به بخصوص شعبه ومجتمعه. فهو طوراً يدين النظام الطبقي وتارة ينتقد النظام السياسي الجائر وتارة أخرى يصرخ في وجه الفساد الاجتماعي مثل النفاق والرشوة والمحسوبية والظلم والدكتاتورية والاستبداد والفقر والمرض والكبت والقمع.

طرح يوسف إدريس عن طريق مسرحياته ورواياته وقصصه القضايا الاجتماعية المختلفة، مثلاً العدالة الاجتماعية و المساواة و الأمانة، والنفاق، والظلم، والدكتاتورية، ونظام الطبقات، والرشوة، والمحسوبية وغيرها. هذه المشاكل والمسائل التي توجد في كل مجتمع كذلك توجد في المجتمع المصري. وقد ينظر إلى هذه القضايا كل شخص ولكن لا يستطيع أن يرفع صوته ضدها أو ينقصه قوة التفكير والتعبير. أما يوسف إدريس فهو يرفع صوته ضد هذه المشاكل ويذكرها في كتاباته الأدبية لأنه هو الشخص الذي تحزنه هذه القضايا والمشاكل فهو يريد أن يزيلها من مجتمعه، لأنها عاثت الفساد في المجتمع وقبحت صورته الجميلة وأحزنت قلوب الناس وظلمت على الطبقات الضعيفة.

ونحن نريد هنا أن نتناول بذكر القضايا والمشاكل الاجتماعية التي توجد في مسرحياته ورواياته.

أفة النفاق: قد تناول يوسف إدريس مشكلة النفاق أو داء النفاق موضوعاً لكثير من قصصه ورواياته. فعلى سبيل المثال قصة حادثة شرف قصة تصور بصورة وأخرى مظاهر الرياء والنفاق في المجتمع الريفي. النفاق يوجد في رواية "الحرام" حيث هو ناتج انساني تعبر عن حقيقة مكبوتة و كامنة في كيان

25. الأستاذ المساعد بكلية الحكومية شوبيان، والباحث باللغة العربية في جامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري، جامو وكشمير.

26 يوسف إدريس هو كاتب قصصي، مسرحي، وروائي مصري ولد سنة 1927 في البيروم التابعة لمركز فاقوس، مصر وتوفي في 1 أغسطس عام 1991 عن عمر يناهز 64 عام.

الجميع عميقا . كما أرانا المؤلف كيف أن المجتمع هو الذي يحدد الحرام وهو الذي يخلقه في ظروفه الصعبة ، وهنالك عدة أمثلة على ذلك في القصة. فالحرام الذي ترتكبه عزيزة رغم أن هناك من الظروف القاسية جدا ما يبرر عملها لكنه في تصور رجال ونساء الطبقات العليا الأخرى لا يبلغ في الشدة مبلغا لو كان مرتكبها غير منتم إلى طبقة الترحيلة. بينما نرى كيف أن سيدات التفتيش "المحترمات" كن في علاقات جنسية لا يعلم بها أحد ولم تعتبر حراما، حتى أن زوجة الإمام كانت تخونه. فالأمر بإيجاز هو أمر الإزدواجية والكيل بمكيالين. الحرام هو حرام سواء كان مرتكبها إمام المسجد أو كان مرتكبها الفلاح البسيط الساذج سواء كان المرتكب من علية القوم أو كان من الطبقات السفلى والرواية تحاول فضح هذا العيب، عيب الإزدواجية الموجود في المجتمع البشري.

يقول يوسف إدريس في روايته "الحرام" مشيرا إلى البعد الفكري والعاطفي بين الطبقات العامة وطبقة الترحيلة وكيف كان معاملة الناس وسلوكهم غير السوي وغير الإنساني مع الآخرين:

"نساء الفلاحين هن الأخريات كان لهن آراء مثل أزواجهن وآباءهن. بل أغرب من هذا كن أكثر حماسا وأكثر تحاملا، وكأنهن يستكثرن على الترحيلة أن تحمل إحداهن مثلما يحملن، وأن تلد مثلما يلدن، حتى لو كان حملها وولادتها حراما في حرام."²⁷

النظام الطبقي:

إذا القينا نظرة عابرة على التاريخ البشري وجدنا أن الإنسان ظل منقسما على نفسه، ظل منقسما في فئات وكتلات وجماعات وأحزاب وقد جر هذا الإنقسام و هذا التحزب و هذا التشرذم إلى جروح وحروب وويلات. أصبح الإنسان يفرق بين أبناء جنسه فهذا رفيع وهذا دني وهذا شريف وهذا خسيس، هذا من الطبقة العليا، وهذا من الطبقة السفلى، هذا من يستطيع أن يتمتع بالحياة، وهذا لا يجوز له أن يتمتع بها، أن يعيش على هامشها، أن يعيش على فلتاتها، هذا ولد من فم براهما، وهذا ولد من رجله. النظام الطبقي كان موجودا في سائر المجتمعات وهو لا يزال يوجد في بعضها إلى الآن وكان لهذا النظام سيئات حرمت كثيرا من الناس من حقوقهم الطبيعية للحياة الكريمة. ومع أن المجتمعات الإسلامية كانت خالية تقريبا من نظام طبقي جائر ولكنه وجد. وعلى هذا الأساس نرى أنه قد وجدت طبقات في المجتمع المصري عدت بعضها عالية وبعضها سافلة. في مصر هناك طبقة من الفقراء والمساكين تشتغل مصورة عامة بالعمالة تسمى طبقة الترحيلة هي طبقة حرمت من الحقوق الإنسانية الأساسية وقضت حياة لا يناسب و الإنسان. ويوسف إدريس

27. يوسف إدريس ، رواية الحرام ، ص 110-111.

في روايته "الحرام" يدين هذا النظام الطبقي ويكشف سواته ويجعل من التمييز الطبقي مادة لروايته. وإليكم قطعة من الرواية تشير إلى المسافات النفسانية بين المنتمين إلى طبقات مختلفة.

"و دار الحديث حول إكتشاف أم اللقيط، وإكتشاف أنها متزوجة، وأنها حملت من وراء زوجها دون علمه. وتناسب أم إبراهيم أنها مريضة واعتدلت تقص على لئده حكايات عن الترحيلة وبشاعة أخلاقهم، وكيف أنهم لا يتورعون عن ارتكاب جريمة أو خطيئة بلا خجل أو حياء وكأنهم ليسوا بشرا، وكأنهم قطيع من حيوانات أو أغنام. وكانت لئده توافقها موافقات قلقة مضطربة، تؤكد لها في نهاية كل موافقة أن الله حتما سيغفر لهم إذ هم جهلة لا يدركون ماذا يفعلون. وتصر لئده على حكاية الفقران هذه بطريقة تبعث الريبة في صدر أم إبراهيم، فتجعلها تكف عن الحديث وتغير الموضوع.²⁸

الرشوة:

تعاطي الرشوة ظاهرة توجد في المجتمعات البشرية بصورة عامة وقد يبدو بعض الأحيان أن هذا العمل ليس شيئا معيبا ولكن الحقيقة هي هذا العمل عيب وفساد أخلاقي وقد يسبب هذا العيب مفسد اجتماعية كبيرة فبسبب الرشوة قد ينال العاري من المؤهلات والجدارة مالا ينال صاحب الخبرة والمؤهلات بسبب عدم قدرته على الرشوة، وهذا في نهاية المطاف يؤدي إلى غياب العدالة الاجتماعية.

من دراسة رواية "العيب" نحن نتعرف ضمن المشاكل والقضايا التي نتعرف عليها، على مشكلة الرشوة. فالشخصية الرئيسية سناء التي كانت تؤمن بالأمانة والشرف وتعتبر الرشوة نوعا من الجريمة والإثم تبلغ بها الظروف المحيطة إلى درجة أنها تنجرف مع التيار، كل الناس من الموظفين في المكتب من الأعلى إلى الأسفل لا يشعرون بغضاضة في تقبل الرشوة، كأن تعاطي الرشوة سلوك محترم.

فكان أمام القتاة أحد أمرين، وهي التي تربت على معاني الشرف في بيتها، وعلى الرضا ولو بالقليل، ولهذا عملت كي تكسب المال.

الأمر الأول: أن تكون مثل العاملين في المكتب وتقبل الرشوة : لأنهم حاولوا استقطابها، بل منهم من حاول إغواءها وليس فقط مغاللتها، وكل هذا لا يعتبره المجتمع عيباً.

والأمر الثاني: أن تصمت على تلك الجريمة، وقد صوّر يوسف إدريس موقف الاحتياج للفتاة، وكيفية ترك زملائها لها، عندما احتاجت أن تشتري دواء لتعالج به أخاها الصغير.²⁹

28 . يوسف إدريس ، رواية الحرام ، ص 126.

29. يوسف إدريس، رواية العيب ، ص 31-34.

في بداية القصة نحن نجد السناء تنكر الرشوة وكانت تتصورها إثما كبيرا وعيبا وحراما وتقول عندما يعرض إلهما الباشكاتب الرشوة:

"لما أموت أنا وأهلي من الجوع ما أقدرش أمد أيدي على حاجة حرام".³⁰

ولكن بسبب ضغوط المجتمع تغيرت فكرتها وبدأت تأخذ الرشوة والحوار التالي يكشف لنا عن التغير الكبير الذي طرأ على شخصية سناء وكيف يستقبل زميلها خبر تقبل الرشوة. نطقت الجملة وسكتت هنيئة، وفي أثنائها أقشعر جسدها لدي صورته حين مرت بخيالها وهو يهدر هدير الكلب (الرجل) ووجدت نفسها تقول:

"واللا أيه رأيك؟ ما بالش الكازينوهات لحسن حد يشوفنا".

وفتح محمد الجندي فاه مدهوشا مروعا مذهولا، معتقدا لا بد أنها أصيبت بمرض أو مستها لوثه، إذ لم يكن باستطاعته أن يتخيل أو يصدق أنها حقيقة تعني ما تقول".³¹

المحسوبية:

المحسوبية أو محاباة الأقارب أو الوساطة تعني تفضيل الأقارب أو الأصدقاء الشخصيين بسبب قرباتهم وليس كفائتهم. والكلمة تستخدم للدلالة على الازدراء. فمثلاً إذا قام أحد المدراء بتوظيف أو ترقية أحد أقاربه الموظفين بسبب علاقة القربى بدلاً من موظف آخر أكفأ ولكن لا ترتبطه علاقة بالمدير فيكون المدير حينها متهماً بالمحاباة. وقد ألمح بعض علماء الأحياء بأن الميل نحو محاباة الأقارب أمر غريزي وشكل من أشكال انتقاء الأقارب.

المحسوبية داء اجتماعي عضال نخر المجتمع الإنساني عبر العصور. هذا الداء متفشى في كل المجتمعات. هذا الداء ينمو بسبب الظلم ويؤدي إلى غياب العدالة الاجتماعية. وبما أن يوسف إدريس يحاول أن يكشف سوءات مجتمعه ويصور مشاكله فلا يفوته هذا المرض. فنحن نراه في أعمال مختلفة يتناول بذكر هذا الداء ويبين تأثيره في المجتمع ويشير إلى الحلول التي يمكن تبنيها. ففي روايته مثلاً العيب يصور هذا الداء في صورة الأشخاص الذين لا يتورعون من أخذ الرشوة كما لا يخافون وإن بلغت شكاياتهم إلى المدير حيث أن المدير مع علاقة وثيقة مع المرتشين.³²

30. يوسف إدريس ، رواية العيب ، ص 53.

31. يوسف إدريس، رواية العيب، ص 111.

32. يوسف إدريس ، رواية العيب ، ص 49-56.

خاتمة البحث:

قد أصبح واضحاً مما درسنا من روايات ومسرحيات وأعمال يوسف إدريس أنه يتمنى وجود مجتمع يسوده المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية، مجتمع فيه كل شخص حر في تبني عقيدته والتعبير عن أفكاره وآرائه وممارسة أعماله وشعائره وإتباع تقاليده وطقوسه كما هو متساو في استغلال قدراته وإمكانياته وتحقيق ذاته وشخصه وترجمة أحلامه وأمانيه دون أن تكون هناك أية عائق أو عرقلة مهما كان لوناً أو نوعاً من إقتصادي أو اجتماعي وسياسي أو ثقافي يعني أن تكون العدالة الاجتماعية جارية سارية في كافة عروق وأنسجة المجتمع. هذا هو المجتمع الحر العادل الخالي البعيد عن التمييز على أساس اللون والعرق والعقيدة والوطن كذلك البعيد عن الظلم والفساد والكبت الذي كان يوسف إدريس يحلم به وظل طول حياته يسعى لإيجاده من خلال أعماله.

المصادر والمراجع:

• المصادر الرئيسية

1. يوسف إدريس، أرخص ليالي، مكتب مصر، القاهرة، 1954.
2. يوسف إدريس، الهلوان، مكتبة مصر، القاهرة، 1983.
3. يوسف إدريس، البيضاء، مكتب مصر، القاهرة، 1970.
4. يوسف إدريس، الحرام، مكتب مصر، القاهرة، 1959.
5. يوسف إدريس، العيب، مكتب مصر، القاهرة، 1962.
6. يوسف إدريس، الفراير، مكتب مصر، القاهرة، 1964.
7. يوسف إدريس، اللحظة الحرجة، مكتب مصر، القاهرة، 1958.
8. يوسف إدريس، المخططين، مكتب مصر، القاهرة، 1969.
9. يوسف إدريس، بيت من لحم، مكتب مصر، القاهرة، 1971.

المصادر الثانوية

1. د. جاد طه، معالم تاريخ مصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1989.
2. جهاد فاضل، أدباء عرب معاصرون، دار الشروق، القاهرة، 1968.
3. د. حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، دار الشروق، مصر، ط 2، 2009.
4. د. زبير فاروقي، علمي وأدبي مطالعة، دار الفاروقي، دهل، 2005.
5. د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط 3.
6. صالح مرسى، هم وأنا، مكتبة مديولى الصغير، 1996.

1. Deerek Hopwood, Egypt: Politics and Society 1945-1981, George Allen & Unwin (Publishers) 1983, Ed.
2. M.M. Badawi, A New Concept of Arabic Literature.
3. Roger M.A. Allen, Critical Prospective on Yusuf Idris, Lynne Rienner Publishers Inc, 1994.

الصورة الشعرية في رثاء العصر المملوكي والعثماني

الدكتور محمد زبير كمال خان

يصور بناء صورة الأدب ولا سيما الشعر تجارب حياة الوجود الإنساني في ماضيه وحاضره ومستقبله بموضوعات متنوعة، وهو يوحى باللحظة النفسية الأشبه بنافذه تفضي إلى آفاق بعيدة تطوف في الخيال، فيكتسب الشعر أصداء من الحقيقة والخيال، فيكون المزيج منهما بشكل منفرد. وقد يتسع الخيال عند الشاعر فينتقل سرائر الكون إلى خياله عبر انفعالاته النفسية محلقة في آفاق خياله يتحرر فيها قليلا أو كثيرا عن حياته المادية وأغلالها الثقيلة، فتضحي لغته لغة ساحرة معبرة عن صدق إحساسه بما تحتوي من تعبيرات مجازية وتشبيهية واستعارية وكنائية، ومن هنا تبرز العلاقة بين بناء اللغة الشعرية والصورة.

وإذا نتحدث عن الرثاء في العصر المملوكي والعثماني، وجدنا أن شعراء الرثاء قد أكثروا من الصورة الشعرية واستعانوا بها في نقل أفكارهم وأحاسيسهم وارتكزوا في صنعها على التشخيص والتجسيم والوصف من خلال أنواع علم البيان من تشبيه واستعارة وكناية⁽³³⁾. وهذه الأنواع كما يرى عبد القاهر الجرجاني، "تكسب المعاني نبلا وفضلا، توجب لها شرفا، وأن تفخمها في نفوس السامعين، وترفع أقدارها عند المخاطبين"⁽³⁴⁾. كما أنها تهدف إلى الإيضاح "إذ تري الجماد ناطقا، والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جليلة"⁽³⁵⁾. ولجأوا إلى الأساليب التصويرية عند أسلافهم، ومالوا بعض الأحيان إلى التخليق والابتكار أو إلى إلباس الصورة لباسا جديدا ضمن الإطار التصويري الموروث.

واستمدوا صورهم من مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة، وكان عالم الحيوان، والطيور ميدانا رحبا استقوا منه صورهم الدالة على معانيهم، فقد قاموا بتصوير المرثي بالأسد لشجاعته وقوته، ومن الأمثلة على ذلك قول صفي الدين الحلي في رثاء السيد النقيب غياث الدين عبد الكريم:

³³ رائد مصطفى، فن الرثاء، ص 388

³⁴ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 109

³⁵ الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 33

ولم أرقبل اليوم ليث عريكة أذاقته طعم الموت عضه كلبه⁽³⁶⁾

وكذلك قوله في رثاء القاضي تاج الدين محمد بن وشاح قاضي الحلة:

أسد خلت شبلي عرين شيدا مجدا له لن ينالا⁽³⁷⁾

وصور الشعراء المرثي بالبدر والبحر كما يقول صلاح الدين الصفدي في رثاء السيد النقيب مجد الدين:

ولم أري بحرا قبله حازه الثري ولم أري بحرا قبله ضمه للحد⁽³⁸⁾

ويقارن الصفدي بين مرثية الأمير سيف الدين تنكز وبين أعدائه، فيصوره ليثا في الشجاعة والاقدام، ويصورهم انعاما في جبنهم وفرارهم أمامه، فيقول:

إذا قيل هذا الليث وافي مضوا هربا كأمثال النعام⁽³⁹⁾

وكذلك اطلعنا علي قصيدة أخرى للصفدي يصور بها الإنسان في الحياة الدنيا، مشيرا إلي عدم اهتمامهم بالموت كالذود في الرعي غافلة عن جزاريها، يقول:

والموت يقظان لهذا الوري وكلنا في غفلة النائم

كالذود في الرعي به غفلة عن مُلتقي جزاره الغاشم⁽⁴⁰⁾

وصور الشعراء دموعهم الحارة بالنيل والغمام، ويتجلي ذلك في قول ابن نباتة:

بكرت علي مثواك أدمع نائح كالنيل ذات وفا وذات منادي⁽⁴¹⁾

وقول ابن حجر العسقلاني :

وجودا معي فضلا بفيض مدامع وإن كان دمع العين يشجي ولا شيفي⁽⁴²⁾

وصور الشعراء المرثي بالغيث في الجود، والطود في الحلم، والنسيم والرياح الخضراء في الخلق والल्पف، ويبرز ذلك في قول ابن نباتة:

كان المؤيد في يومي ندي وردي غيثا لراجيه أو غوثا للاجيه⁽⁴³⁾

³⁶ ديوان صفى الدين الحلبي، ص 355

³⁷ نفس المصدر، ص 371

³⁸ الوافي بالوفيات، ج 5، ص 373

³⁹ الصفدي، اعيان العصر واعوان النصر، ج 2، ص 136

⁴⁰ نفس المصدر، ج 4، ص 280

⁴¹ ديوان ابن نباتة، ص 160، نقلا عن رائد مصطفى، فن الرثاء، ص 389،

⁴² ديوان ابن حجر، ص 116

وقول صفي الدين الحلي:

كيف دكت طودَ حلم نداه سبق الوعد، وأفني السؤال⁽⁴⁴⁾

وقول صفي الدين الصفدي:

تداركه لطف الإله بنسمة تهب علي أزهارها عفو وغفران⁽⁴⁵⁾

واستخدم الشعراء مظاهر الطبيعة، فصوروها حزينه علي مرثيهم ،تبكي بكاء حارا وتنعيهم،

ويبرز ذلك قول صلاح الدين الصفدي:

والسحب تبكيه بدمع الحيا والورق في الأغصان تنعاه⁽⁴⁶⁾

وقول ابن نباتة:

لهفي وهل نافعي لهفي علي ملك بات الغمام علي الآفاق يبكيه

لهفي وهل لهفي نافعي علي ملك كسي الزمان حدادا من د ياجيه⁽⁴⁷⁾

وقول صلاح الدين الصفدي:

بكي الغمام بدمع الودق مُد عقدت حمائم البان من شجوي مناحات⁽⁴⁸⁾

وصور الشعراء شعرهم ودموعهم بالدرر لنفاستها، كما يبرز ذلك في قول برهان الدين

القيراطي:

سأرثيه بالدر النظيم ومُلتقي تزينه من در المدامع بالنثر⁽⁴⁹⁾

وقول ابن حجر العسقلاني:

وغاض قلبي في العلوم أما تري سقيط دموعي منه كالدرر⁽⁵⁰⁾

وقام الشعراء بتصوير الرسائل والكتب تم تأليفها علي أيدي مرثيهم من العلماء والأدباء، وما هي

تحمل من ميزات ومنافع، ومن ذلك ماجاء في قول صلاح الدين الصفدي:

⁴³ ديوان ابن نباتة ، موقع كنوز . www.konouz.com، والنجوم الزاهرة، ج9، ص215 {لم توجد القصيدة كلدا في النجوم}

⁴⁴ ديوان صفي الدين الحلي، ص369

⁴⁵ الوافي بالوفيات، ج5، ص219

⁴⁶ نفس المصدر، ج5، ص221

⁴⁷ ديوان ابن نباتة. موقع كنوز . www.konouz.com، والنجوم الزاهرة، ج9، ص215

⁴⁸ الصفدي، الوافي ج12، ص262

⁴⁹ رائد مصطفى، فن الرثاء، ص392

⁵⁰ ديوان ابن حجر العسقلاني، ص105

برد أجاد طرازه الرّقام⁽⁵¹⁾

كم من كتاب سار عنك كأنه

ومؤشّح أحمد بن محمد بن عماد:

ولم يقطع لأهل الإفتقار مزارا

ولا يسعى لأبواب الكبار نهارا

وكم في العلم ألف من كتاب

جوادا كان في رد الجواب

وميز للمشايخ والشباب⁽⁵²⁾

ولجأ الشعراء إلى الكناية في تشكيل صورهم وقد "تفطن النقاد والبلاغيون إلى أهميتها الفنية المتمثلة في قدرتها على السمو بالمعني والارتفاع بالشعور إلى مستوى من التصوير الإيحائي الشفاف الذي لا يثير المخيلة فحسب، بل ينفذ إلى الذهن عن طريق الحس، فيصدمه أولا بالمعطي الحسي، ثم يفجؤه بعد ذلك بما يخفيه هذا المعطي عن طريق الحس، وفكره، وشعوره، بوساطة الإيماء السريعة أو اللمحة الخاطفة التي يتلقفها العقل لانذا ببهجة الاكتشاف ومسيرة المفاجأة"⁽⁵³⁾.

ولا توجد الكناية إلى حد كبير في مرثي هذه الحقبة مقارنة مع الضروب البيانية الأخرى، إلا أن الشعراء أكثرها من الكنايات حين تحدثوا عن المرأة المريثة والنساء اللواتي سباهن الأعداء، ووصفوا عفتهم وطهارتهم، ومن ذلك قول برهان القيراطي في رثاء زوجة القاضي تقي الدين ناظر الجيش: وإن غُيبَت في ثري اللحد فكم قد حَجَّتْها الستور والسَّجَف⁽⁵⁴⁾ وقول أحد شعراء حلب:

سبي الحريم ذوات الستر الحجب⁽⁵⁵⁾

لكن مصيبتك الكبرى التي عظمت

وبرزت الكناية حين تحدث الشعراء عن الحزن على المرثي، فكنوا عن ذلك بشق الجيوب،

وتمزيق القمصان، كما يتجلى في قول صفي الدين الحلي:

إن لم تشق مرائر وقلوب⁽⁵⁶⁾

سفها إذا شُقت عليك جيوب

⁵¹ فوات الوفيات، ج1، ص499

⁵² العسقلاني، الدرر الكامنة، ج1، ص269

⁵³ رائد مصطفى، فن الرثاء ص396 نقلا عن الاخضر عيكوس، مفهوم الصورة الشعرية قديما، ص89،

⁵⁴ رائد مصطفى، فن الرثاء، ص396

⁵⁵ اعلام النبلاء، ج5، ص138

⁵⁶ ديوان صفي الدين الحلي، ص333

ومن السمات البارزة التي امتازت بها الصورة الشعرية، التشابه، و" ظهر ذلك حين صور الشعراء حزنهم ودموعهم، وأرقهم، وحياة الجحيم التي يعيشونها، وحين شخصوا مظاهر الطبيعة والكون، وصوروا حزنهم، وتغيرها، وتعطلها، و تشابهت الصور التي أشادوا فيها بالمرثي، ووصفوا جوده، وحلمه، وزمده، وتقواه، وشجاعته، وغير ذلك، وتشابهت صورهم حيث رثوا المرأة، ووصفوا جمالها، وشبهوها بالشمس، والظلي، والبدر، وحين تحدثوا عن عفتها واحتجابها، كما قدم الشعراء صوراً متشابهة للقبر، والمصير الذي آل إليه المرثيون، وكذلك تحدثوا عن الموت، وقوته، و حتميته، وحين هاجموا الدهر، والدنيا، والزمان، الليالي، ووسموها بالغدر والخيانة⁽⁵⁷⁾".

وختاماً استطيع أن أقول أن الصورة الشعرية ازدهرت ازدهاراً كثيراً في العصر المملوكي والعثمانيمثل العصور السالفة.ولفتت انتباه الشعراء والرثاة الذين استعانوا بها في نقل أفكارهم وأحاسيسهم إلي الآخرين وارتكزوا في صنعها علي التشخيص والتجسيم والوصف من خلال أنماط كثيرة من التشكيلات الأسلوبية-الصورة التشبيهية، والاستعارية والكنائية- في بناء صورهم وهذه هي الأساليب المختلفة من التصوير التي تجعل أعمال الشعراء أشد وضوحاً وأكثر دقة كما نري في رثاء هذه الحقبة.

المصادر والمراجع

1. عبدالرحيم، حسن رائد مصطفى، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي. دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2003م
2. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز. مكتبة سعد الدين، دمشق 1987م
3. نفسه، أسرار البلاغة في علم البيان. دار المطبوعات العربية ب ت
4. ديوان صفي الدين الحلبي، مطبعة دار صادر، بيروت 1964م
5. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك ، الوافي بالوفيات. دار إحياء التراث العربي، بيروت 2003م
6. نفسه، أعيان العصر وأعيان النصر. دار الفكر المعاصر، بيروت 1998م
7. ديوان ابن حجر العسقلاني، طبعة حيدر آباد الدكن، حيدر آباد، الهند ب ت
8. ابن تغرد بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1993م
9. الكتبي، محمد بن شاكر : فوات الوفيات، الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت 1974م

⁵⁷ رائد مصطفى، فن الرثاء، ص 400

الرواية فن مهم لإصلاح المجتمع

58 محمد فريد

الحمد لله رب العالمين الصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد: فإن الرواية بمعناها اللغوي يصدق على ري الأرض أو اشتباغ الظمأ وعندما توسع النقاد فيها تدل على نقل الخبر أو الحديث من شخص إلى آخر. وكذلك ارتبط بعلم الحديث النبوي الشريف حيث يروي راو عن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بها الآخرين⁵⁹. ثم توسع الأدباء في معناها حيث تدل على القصة الطويلة النثرية.

وقد إستمرت رواية الشعر والنثر في العصر الإسلامي والأموي حتى العصر العباسي حيث لها حظ أوفر في تقديم العلوم اللغوية وتحفيظ النصوص الأدبية حتى أصبحت الرواية وسيلة هامة لنقل التراث الأدبي وحمله عندهم وإن الرواية تعتبر في العصر الحديث ظاهرة من ظواهر رقي العقل البشري فكما أن الإنسان ارتقى في عقله في ميادين ، فإن الرواية كذلك مظهر من مظاهر رقية. فالرواية بصفتها تقدم أمام الإنسان ما هناك من حقائق اجتماعية، وكلما يرقى العقل البشري فانه يقوي في تحليل المظاهر البشرية والحقائق الاجتماعية والإنسان مع رقى عقله يزداد في تحليل جميع ما يمر به من المظاهر الإنسانية، إن الراوي يقدم الحقائق الاجتماعية في صورة حكيمة متشابكة حيث أن جزءا يحلل الجزء الآخر ويتم تصوير المجتمع كما يريد⁶⁰.

إن الرواية تسمى ملحمة عصرها ، وقد أصبحت جزءا لازما لثقافة مجتمع وتؤثر المجتمع الذي تولد فيه كما تتأثر به. الرواية في الواقع سجل لجميع ما يتواجد في مجتمع وتكمن في طمها جميع المظاهر الاجتماعية وعن ذلك الطريق تصور المجتمع تصويرا دقيقا وتبرز ما فيه مفاصد ونقائص وتقاليد عمياء ومظالم بشرية وعقائد باطلة وتعتمد إلى استيصالها، وقد بلغ في الأدب العربي الحديث العدد الكبير من الروائيين وجميعهم تناولوا القضايا الاجتماعية و التاريخية والسياسية والفلسفية وما إلى ذلك.

مما لاشك فيه أن كتاب الرواية الإسلامية لم يكتفوا بالاستلهام من التاريخ لنشر صفحات المجد والافتخار للحضارة الإسلامية، ولم تنحصر الرواية الإسلامية في الرواية التاريخية كما ظن البعض، بل اتجه عدد منهم إلى واقع المجتمع ليصوروا ما يجري فيه من تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية، ويكشفوا ما يعانيه الإنسان في العصر الراهن من أزمات فكرية واضطرابات روحية رغم ما يتمتع به من الرفاهية

⁵⁸ الباحث بجامعة بركة الله بهوبال ((قدم الباحث هذه المقالة في ندوة وطنية عقدت 27-29 مايو 2016 التي نظمتها اتحاد أساتذة

وباحثون اللغة العربية لعموم الهند بالتعاون مع قسم اللغة العربية وأدائها بجامعة بركة الله بهوبال ودارالعلوم تاج المساجد بهوبال.))

⁵⁹ عبد القاهر إبراهيم مصطفى: معجم الوسيط المجلد الأول مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، طهران، 1426هـ (من مادة روى)

⁶⁰ الدكتور محمد التونسي: المعجم المفصل في الأدب، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص: 490-491.

ووسائل العيش، وليعبّروا عن مشكلات المجتمع على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع الكبير وعلى مستوى الرجل والمرأة، وليبرزوا الصراع الموجود في داخل النفس البشري بين نوازح الخير و دوافع الشر.

والقصة الإسلامية تعبر عن هذه القضايا برؤية اسلامية و وفق التصور الاسلامي للإنسان والمجتمع، التصور الذي يرى أن الانسان ((مخلوق ليس شرا خالصا ولا خيرا خالصا، وإنما فيه والاستعداد للخير والشر، وفيه القابلية لأن يسير في هذا الطريق أو ذلك...مخلوق هو قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، وهذه القبضة من طين الأرض تخضعه لضرورتها، ضرورات الطعام والشراب والجنس، الضرورات الإقتصادية والإجتماعية والبيولوجية والنفسية، ولكن أن نفخة من روح الله ترفعه من الخضوع الكامل لهذه الضرورات والسلبية المزرية إزاءها، فتجعله يتصرف في هذه الضرورات تصرف المالك لأمره)).⁶¹ ومن ثم فالقصة الإسلامية في تعبيرها عن واقع الحياة والإنسان والمجتمع، تصورها الإنسان على هذه الطبيعة المزدوجة ((لاترسم له صورة بيضاء، بعيدة من كل سوء، نقية من كل شائبة، سليمة من كل إنحراف بل تصوره في لحظات ضعفه ولحظات قوته، لحظات هبوطه ولحظات رفعته، اللحظات التي يلصق فيها بطين الأرض واللحظات التي يشرق فيها بنور الله))⁶² ولكنها حين تصور لحظة الهبوط، تصورها على أنها لحظة هبوط لا بد أن يتجاوزها الإنسان، لا على أنها لحظة بطولة تستحق التصفيق والاعجاب.

وقد نظرت القصة الإسلامية في هذا المجال إلى القصة القرآنية حيث صور القرآن الكريم في قصة آدم و خطيئته على أنها لحظة من لحظات ضعفه أمام اغراء الشيطان، لا لحظة بطولة تستحق الإعجاب والإتباع فقال الله تعالى:

((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ.)* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانُوا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرُّوْكُمْ إِلَى حِينٍ)* فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.))⁶³

فقد صوّرت هذه القصة الإغراء من قبل الشيطان، والضعف والهزيمة من قبل الإنسان، ولم ينته الأمر عند ذلك، بل أعقبهما بندم وتوبة ورجعة إلى الله تعالى. وكذلك في قصة هابيل وقابيل صور القرآن الكريم الشر والزيلة وجريمة القتل بصورة يحسّ القارئ بالأسف والحسرة على القتل، والكراهية للقاتل، والتنفر من القتل.⁶⁴

⁶¹ محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ص 54.

⁶² أيضا.

⁶³ سورة البقرة / 35-37

⁶⁴ سورة المائدة / 27-31

وبهذه الرؤية الواقعية الإسلامية عالجت القصّة الإسلاميّة القضايا الاجتماعيّة والانحرافات السلوكية، وقضايا المرأة والأسرة، كما عالجت واقع الإنسان المسلم في مواجهة التحديات والضغوط السياسيّة والاجتماعيّة.

وكان لعبد الحميد جودة السّحار دور الريادة في هذا المجال وفي تصوير واقع المجتمع برؤية إسلامية في شكل القصة الفنية، لأنه قد عالج في رواياته أمثال (في قافلة الزمان) و(النقاب الأزرق) و(الشارع الجديد) و(المستنقع) و(أم العروسة) والنصف الآخر) و(الحفيد) و(جسر الشيطان) كثيرا من قضايا المجتمع المعاصر وأحداثه ومشاكله السياسيّة والاجتماعية والإقتصادية معالجة فنيّة، واستطاع بعينه الراصدة وفكره الثاقب أن يقدّم تصوّرا شاملا عن العصر، وعن حياة الناس فيه، والأزمات التي واجهتهم، والقضايا التي شغلت تفكيرهم.

واستمدّ نجيب الكيلاني أيضا موضوعات كثيرة من رواياته من واقع المجتمع الذي يعيش فيه متأثرا بمهنته الطبية وتجربة السّجن التي عاشها مدة من الزمن وبيئته التي عاش فيها حيث ان عددا كبيرا من شخصيات قصصه هم أطباء أو ممرضات أو مساعدون صحيّون وكثير من الحوادث تقع في المستشفى، وهناك قصص تقتصر موضوعاتها على تصوير الحياة العاملين في الحقول.⁶⁵

وفي قصصه تصوّر الواقع الذي يعيشه الإنسان في هذا العصر، وتعالج بعض المشاكل التي تتعلق بقضايا الفرد أو النفس الإنسانية، أو تتعلق بالأسرة أو الأحداث التي تنزل في المجتمع، أو تتعلق بالسلطات الحاكمة وطريقة تعاملها مع أبناء الشعب. وفي الأدب العربي الحديث العدد الكبير من الروائيين وجميعهم تناولوا القضايا الاجتماعيّة وبذلوا مساعي في تصوير المجتمع وإبراز مفاصله.

ولا شكّ فيه أن الرواية مجموعة من حوادث مختلفة التحثير يقدم الروائي من خلال عدة شخصيات على وقت طويل من الزمن في الصّورة الأدبية النثرية. وقد أصبحت الرواية وسيلة مهمة لتقديم تصوير الحياة الإنسانية كما أصبحت مرآة تنعكس فيها ملامح الوقائع التي تقع داخل المجتمع البشري ولها شكل فنيّ خاص يعتمد على التحليل الدقيق في تصوير الاحساسات والعواطف والأخلاق والعادات ويجارب المفاسد الإنسانية والعيوب الاجتماعيّة بطريقة حيّدة. وأخيرا أذكر أن الرواية هي وسيلة فعالة لإصلاح المجتمع الإنساني وتثقيف أخلاق الناس وتهذيبهم كما هي وسيلة أدبية لبث الأفكار الإصلاحية وترويجها في الأدب والناس على السواء، ومن شعارها الأول أنها تثقّف الجمهور وتصلح المجتمع وتحاول أن تبعد أن جميع نقائضه أن طريق تحليل القضايا البشريّة وتقديم مشكلاتها وأزماتها تقديسا حياديا بدون أي محاباة.

⁶⁵ عبدالله العربي، الإتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، بدون تاريخ ومحل النشر، ص 64.

كتابة التاريخ المنتخبة للمصريين في القرن التاسع .

بشارت أحمد شاهين⁶⁶

shaheenziae@gmail.com

الملخص:

إن المؤرخون من العالم العربي لهم ميل شديد إلى تذكير والحفظ على أعمال أجدادهم وأسلافهم مشقة ، كما جمعوا المزيد من العمل التاريخي كى يعرفوا عن الإنجازات المجيدة لشييوخهم. أما هذا البحث فيدور حول المؤرخين من مصر في القرن التاسع ، جمعوا تاريخ مصر من البداية إلى القرن التاسع ، وتنمية الأدبية الأخرى خلال هذه الفترة ، كما أنهم جمعوا تاريخ الملوك وحكومتهم في كتبهم. من أهم الكتب في هذا القرن، بدائع الدهور في وقائع الدهور، والنجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة، و عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، وعجائب المقدور في نوائب تيمور، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

التاريخ هو علم كتابة التاريخ يعني تسجيل أخبار الأحداث والوقائع منذ البداية حتى النهاية ، و الناس منذ توليد حتى الممات ، التاريخ علم ضروري للأفراد والشعوب على حد سواء . على الفرد أن يعرف نفسه والمعرفة الماضية تتعلق بالتاريخ وإن التاريخ هو المرأة صادقة الصورة للإنسان و المجتمع⁶⁷. أما نذكر الآن عن كتابة التاريخ في القرن التاسع، وأهم رجالها بالوجيز.

نشطت مصر في كتابة التاريخ منذ مطلع القرن الثالث للهجرة، وقد كتبت في جميع ألوانه، في التاريخ العام أو تاريخ الدول العربية، وفي التاريخ الخاص تاريخ دولها وحكامها المختلفين، وفي تاريخ المدن وخاصة القاهرة والإسكندرية، وتاريخ الرجال وتاريخ العلماء من كل صنف وتاريخ الشعراء والأدباء⁶⁸

بدائع الدهور في وقائع الدهور :- هذا كتاب التاريخ لإبن أبياس⁶⁹ هذا الكتاب يشتمل على خمسة أجزاء كبيرة ، يضم هذا الكتاب تاريخ مصر وعلاقتها بالدول الأخرى منذ سنة 764 للهجري الموافق

⁶⁶ باحث بكلية دراسات العرب، قسم اللغة العربية، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد.

1. شاکر مصطفى : التاريخ العرب و المؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ و معرفة رجاله في الإسلام ، الجزء الأول ص 269 .
2. الدكتور شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات مصر ص¹⁵¹
3. هو محمد بن أحمد بن أبياس الحنفي أبو البركات مؤرخ مصري من مماليك ولد سنة 852 للهجري في القاهرة ، كان أبوه أحمد متصلاً بالأمراء و رجال الدولة توفي سنة 908 للهجري ، و كان جده الأمير أبياس الفخر الظاهري من مماليك الظاهر برقوق ، و كان ابن أبياس من الاميذ السيوطي ، اشتغل ابن أبياس بالتاريخ و نظم الشعر ، و عاصر الأحداث الأخيرة من حكام سلاطين المماليك الشراكسة بمصر و شهد الفتح العثماني ، من أهم مؤلفاته ، بدائع الدهور في وقائع الدهور ، خريدة العجائب و بغية الطالب ، و عقود الجمان في وقائع الزمان ، و مرجع الدهور هي كتب التاريخ (. ابن أبياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، اختصار و تقديم : الدكتور مدحت الجيار ص8) .

1363 للميلادي حتى سنة 815 للهجري الموافق 1412 الميلادي ، وقسم الثاني يحتوي تاريخ مصر منذ بداية المصرية الفرعونية ثم الفترة القبطية الرومانية حتى الفتح الإسلامي . اراد ابن أياس أن يختصر تاريخ مصر منذ بداياته حتى العصر المملوكي وقبل محيئ الإحتلال العثماني بحوالي مائة عام وسقوط دولة المماليك والأجزاء الأخرى يبين فيها سلطنة الخليفة المستمعين بالله سنة 823 للهجري حتى 928 للهجري لمدة خمسين سنوات و يبين تفاصيل ما حدث .

اهتم المؤرخ بالمكان وجغرافية مصر ومملكتها وما تملكه من الثروات والحركة الديمجرافية للسكان حول منابع المياه والثروة الزراعية ، و يذكر أيضاً من حكم مصر منذ بداية التاريخ حتى قنصوة الغوري ويذكر أيضاً عن القواد ، والفقهاء ، والشعراء ، والفنانين ، ثم يذكر قديسة مصر وكتب عنها من خلال آيات القرآنية الكريمة التي ذكرت فيها مصر ومع ذلك يذكر عن آثار القدماء والمعابد ثم يتحدث عن الصحراواته وكشف عن تاريخ ثمان وعشرين مدينة وواد وصحراء ، وبعده يتحدث عن الأنبياء عليهم السلام من ابراهيم حتى عيسى عليه السلام ، ثم يذكر عن الحكم والحكماء، وعن الثقافة والحضارة القديمة⁷⁰ .

أخذ ابن أياس يؤرخ لمصر في ظل الدولة الإسلامية ابتداء من ولاية عبد الله بن سعد بن سرح من 25 الهجري 36 الهجري إلى انتهاء خلافة المتوكل على الله محمد بن المعتضد بالله العباسي بمصر سنة 763 الهجري و يبين أهم الحوادث التي وقعت بمصر في هذه الفترات⁷¹ .

احاط ابن أياس مصر ومكانتها الدينية والتاريخية مع ذكر جهاتها وأقطارها وعجائبها ، هو يتحدث عن أخلاق أهل مصر وطبائعهم الحميدة ويذكر معها الحياة الصعبة والضيقة التي عاشها المصريون في ظلال الإستعمار والحروب ، وهو أيضاً يتحدث عن أهم شعرائها وما قالوا عن مصر وصحراواتها ومزروعاتها ونيلها وطقسها وعن مكاناتها المهيمة ، هو يذكر الحوادث الطازجة التي يراها بالعين المباشرة أو يسمع عنها من شهود⁷² .

النجوم الظاهر في ملوك مصر والقاهرة:- هذا الكتاب التاريخي لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري كردي الأتابكي⁷³ ، يؤرخ فيه لمصر منذ دخلها عمر بن العاص وأضاءت فيها أنوار

4. ابن أياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، اختصار و تقديم : الدكتور مدحت الجيار ص11-10-9 .

5. ابن أياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، اختصار و تقديم : الدكتور مدحت الجيار ص13 .

6. نفس المرجع ص15 .

7. هو جمال الدين أبو المحاسن يوسف مشهور بإسم ابن تغري بردي ولد بالقاهرة سنة 812 للهجري و توفي سنة 874 للهجري ، عاصر سنة عشر سلطانا في دولة ممالك الجراكسة كان أبوه تغري بردي متصل بسلطان برقوق (نوبن صدي كے حوالے سے مصري مؤرخين ايک تنقيدي مطاله : ڈاکٹر غلام يحيى أنجم ص98)

الدين الحنيف حتى سنة 872 و هو تاريخ على السنتوات. و عادة يقدم لسنوات كل وال أو خليفة أو حاكم أو سلطان بكلمة عامة عن حكمه و ما وقع فيه من أحداث مهمة و ما يداخل زمنه من بعض الشؤون الإجتماعية مع اهتمام بالنواحي العلمية⁷⁴ يشتمل هذا الكتاب على ستة و عشر جزءاً ، بدأ المؤلف هذا الكتاب بفتح مصر و ما وقع لهم في المسالك و من حضرها من الصحابة و من كان المتولي لذلك ، و يذكر عن فتحها و ما وقعت فيها من الأحداث في الولاية ، و الأقطار، ثم يذكر عن مبانيها مع ذكر زمن سلكان بني فيه⁷⁵ .

الكتب التاريخية الأخرى للمؤلف هي " الحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور " و " المنهل الصافي و المستوفى بعد الوافي " هذا الكتاب يضم تراجم السلاطين والأمراء و العلماء من سنة 650 الهجري إلى سنة 855 الهجري ، و الكتاب المهم " موارد اللطافة في ذكر من ولي السلطنة و الخلفاء " يشتمل هذا الكتاب على أوضاع الصحابة و الخلفاء و السلاطين .

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان :- هذا الكتاب لعالم التاريخ و المؤرخ الجليل علامة بدرالدين العيني⁷⁶ يشتمل هذا الكتاب على تاريخ منذ عهد آدم عليه السلام إلى القرن التاسع ، بدأ العيني حديثه عن العصر الأيوبي بقيام الدولة الأيوبية ، و يذكر عن ملوك بني أيوب و أمراءهم مع ذكر علاقتهم الخاصة بعضهم البعض ، اهتم العيني بذكر أهم الحوادث و الوقائع التي وقعت في القرون بين الأول إلى التاسع ، و هذا الكتاب يعد من أهم المراجع للمؤرخين في ذلك العصر⁷⁷ .

عجائب المقدور في نوائب تيمور :- هذا الكتاب لعرب شاه⁷⁸ يشتمل على تاريخ تيمور لنغ و فاتحين مغول فيه الأوضاع و الأحوال بعهد المؤلف و ما وقعت في ذلك العهد من الظلم و الغزوات ، و في هذا الكتاب أيضاً أخبار يتعلق عن أخلاق السلاطين و معائهم و صفاتهم ، و أخبار عن الفقهاء ، و

8. الدكتور شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات مصر ص 158.

9. مقدمة النجوم الظاهر في ملوك مصر و القاهرة الجزء الأول ص 3-4-5 .

10. هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العيني الحنفي العيني نسبة إلى عينتاب إحدى قرى شمال حلب ، ولد العيني سنة 762 الهجري في عينتاب كان أبوه قاضياً هناك ، كان العيني حافظ التاريخ و بارع في علوم الفقه و النجوم و الأصول و غير ذلك و هو أيضاً مؤرخ إسلامي ، يقول عنه حافظ السحايي حافظاً للتاريخ ، و يقول صاحب أعلام النبلاء " أعجوبة في التاريخ ". عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني تحقيق و دراسة : دكتور محمود رزق محمود ، جامعة المينا الجزء الأول ص 18، و نوبن صدي کے حوالے سے مصري مؤرخين ایک تنقیدی مطالعہ : ڈاکٹر غلام یحییٰ أنجم ص 62) .

11. أنظر عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني تحقيق و دراسة : دكتور محمود رزق محمود ، جامعة المينا الجزء الأول ص 17، و نوبن صدي کے حوالے سے مصري مؤرخين ایک تنقیدی مطالعہ : ڈاکٹر غلام یحییٰ أنجم ص 62) .

12. هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن أبي نصر محمد بن عرب شاه ولد بدمشق سنة 791 الهجري في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة ن حصل التعليم في سمر قند و برع فيه و من اساتذته سيد شريف جرجاني و ابن جرزي و عبد الأول و عصام الدين و عبد الملك (نوبن صدي کے حوالے سے مصري مؤرخين ایک تنقیدی مطالعہ : ڈاکٹر غلام یحییٰ أنجم ص 78-79)

رجال سمرقند . كتاب الآخر للمؤف " التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر (جقمق) هذا الكتاب يضم الأوصاف الحميدة لسلطان جقمق وترجمته الكاملة وسيرته⁷⁹ .

الضوع اللامع لأهل القرن التاسع :- هذا كتاب التاريخ لسخاوي⁸⁰ يشتمل على اثني عشر مجلداً و يضم علماء ، وفضلاء ، وشعراء ، وأدباء لقرن التاسع للهجري ، وهو معجم بديع لتراجم هذا القرن وقاموس لهؤلاء الرجال ، و الجزء الأخير لهذا الكتاب يشتمل على النساء اللاتي برعن في مجال العلم والأدب ، وهذا الكتاب موسوعة كاملة لأوضاع السياسية والعلمية والأدبية والإجتماعية لقرن التاسع⁸¹ . وله أيضا الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، وهو محاولة رائعة لوضع علم التاريخ الإسلامي العربي⁸² .

المراجع والمصادر

1. ابن أياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، اختصار وتقديم : الدكتور مدحت الجيار.
2. جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري: مقدمة النجوم الظاهر في ملوك مصر والقاهرة الجزء الأول.
3. داکٹر غلام یحییٰ أنجم : نویں صدی کے حوالے سے مصری مؤرخین ایک تنقیدی مطالعہ .
4. دكتور محمود رزق محمود :عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني تحقيق و دراسة ، جامعة المينا الجزء الأول.
5. الدكتور شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في نثر العربي.
6. شاکر مصطفى : التاريخ العرب والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام ، الجزء الأول .
7. الدكتور شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات مصر، الطبعة الرابعة.

¹³ . أنظر نویں صدی کے حوالے سے مصری مؤرخین ایک تنقیدی مطالعہ : ڈاکٹر غلام یحییٰ أنجم ص 91 و ص 94 .

¹⁴ . هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد أبو الجعفر شمس الدين السخاوي ولد سنة 831 الهجري بقاهرة بقرب مدرسة شيخ الإسلام بلقيني برع في الفقه والعربية والقرآن والحديث والتاريخ ، و شارك في الفرائض والحساب والتفسير وأصول الفقه والمقاييس وغيرها . (نویں صدی کے حوالے سے مصری مؤرخین ایک تنقیدی مطالعہ : ڈاکٹر غلام یحییٰ أنجم ص 182 و ص 160)

¹⁵ . أنظر نویں صدی کے حوالے سے مصری مؤرخین ایک تنقیدی مطالعہ : ڈاکٹر غلام یحییٰ أنجم ص 183 .

⁸² . الدكتور شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات مصر ص 158 .

إبراهيم عبد القادر المازني

(1889-1949)

⁸³ الدكتور معراج الدين الندوي

إبراهيم محمد عبد القادر المازني هو ناقد متميز وأديب مجدد وصحفي وكاتب وقصاص و مترجم وشاعر مبدع من شعراء العصر الحديث، وزميل العقاد وشريكه في تأليف كتاب "الديوان" يعد من رواد مدرسة الديوان ومن مؤسسيها مع عبد الرحمن شكري وعباس محمود العقاد. ولد المازني في عام 1889 م في القاهرة في المملكة المصرية (جمهورية مصر العربية، اليوم)، ويرجع نسبه إلى قرية "كوم مازن" بمحافظة المنوفية.

يعد المازني من كبار الكتاب، امتاز بأسلوب حلو الديباجة، ونظم الشعر، وله فيه معان مبتكرة اقتبس بعضها من أدب الغرب، ثم رأى الانطلاق من قيود الأوزان والقوافي فأنحرف إلى النثر. وقرأ كثيراً من أدب الغرب وعمل في جريدة "الأخبار" مع الاستاذ أمين الرافعي، و"البلاغ" مع الأستاذ عبد القادر حمزة وكتب في صحف يومية أخرى، وأصدر مجلة "الأسبوع" مدة قصيرة، وملاً المجلات الشهرية والأسبوعية المصرية بفيض من مقالاته لا يفيض. عرف المازني كواحد من كبار الكتاب في عصره كما عرف بأسلوبه الساخر سواء في الكتابة الأدبية أو الشعر واستطاع أن يلمع على الرغم من وجود العديد من الكتاب والشعراء الفطاحل حيث تمكن من أن يوجد لنفسه مكاناً بجوارهم، على الرغم من اتجاهه المختلف ومفهومه الجديد للأدب. وكان المازني صاحب حس فني، وذوق مدرب، وإطلاع رحيب فقد جمعت ثقافته بين التراث العربي والأدب الإنجليزي كغيره من شعراء مدرسة الديوان. يعد إبراهيم عبد القادر المازني رائداً لتجديد الأدب العربي عامة والشعري بخاصة وقد لعب دوراً في تطور الحركة التجديدية الأدبية، والحركة النقدية بخاصة.

كان إبراهيم عبد القادر المازني رئداً للتجديد الأدبي عامة والشعري بخاصة في النصف الأول من القرن العشرين، وهو من الذين خرجوا على التقاليد البالية في الشعر العربي، وثار على الأغلال التي كبلت هذا الشعر، فحمل لواء النهضة التجديدية فيه وشق طريقه الجديد وأقام معاملته مع صديقيه عباس محمود العقاد وعبد الرحمن شكري، وأبلوا بلاء حسناً في رفع بنيانه، وتوطيد أركانه. وكان هدف التجديد الذي كانت تدعو إليه مدرسة الديوان هو: الصدق في الإحساس والصدق في التعبير، حتى ليعرف المازني الشعر بقوله: "إنه خاطر لا يزال يجيش بالصدر حتى يجد مخرجاً ويصيب متنفساً". ومعنى ذلك أن الشاعر لا يقول الشعر بعمل إرادي وفي موضوع يختاره من التاريخ أو من حياة الناس

⁸³ رئيس التحرير لمجلة التلميز.

المعاصرين له، وإنما يقوله عندما تجيش الخواطر في صدره وتلمس لها مخرجاً، فتنتطلق من نفسه شعراً غنائياً شخصياً، وبذلك تنحصر وظيفة الشعر في التنفيس الشخصي عن قائله، ومن البديهي أن هذه النظرة تضيق عن أن تتسع لألوان أخرى من الشعر الوصفي والدرامي والموضوعي الذي يمكن أن يعبر عن آمال الآخرين وآلامهم، بل قضايا الشعوب، وتفسير هذا القصور فسر بعض الباحثين بأن دعوة التجديد التي ظهرت في أوائل القرن العشرين قد ظلت محصورة في نطاق الشعر التقليدي الذي يعتبر شعراً غنائياً، وأن اتجاه هذا التجديد كان نحو الوجدان الفردي في وقت شعر فيه أولئك المجددون بالحاجة الماسة إلى التعبير عن ذواتهم والتنفيس عما كرتهم به الحياة.

ومع ذلك فما أبعد البون بين مزاج كل من هؤلاء الثلاثة واتجاهه، فإذا كان العقاد مفكراً عنيداً يعرف ما يريد ويثبت عنده في الغالب الأعم، وكان شكري منطقياً يستبطن ذاته ولا يمل الغوص في أعماقها، فإن المازني يعتبر بلا ريب فنان هذا الثالوث. إذ كان أعنف الثلاثة انفعالاً وإسرافاً وتقلباً بين عواصف عواطفه المهتاجة في صدر حياته، وقبل أن يستوي على فلسفة ساخرة في الحياة.

المازني ونقده اللاذع إلى شعراء عصره، وقد خص منهم بنقده شاعراً كبيراً ذا شهرة عريضة بين شعراء مصر، هو حافظ إبراهيم ومدحه لشكري ظهرت أول مجموعة من أشعار عبدالرحمن شكري تحت عنوان «ضوء الفجر» في عام 1909 قبل سفره إلى إنجلترا، وبعد عودته أصدر في عام 1913 ديوانه الثاني بعنوان «ليالي الأفكار»، وظهر الجزء الثالث من ديوان شكري في سنة 1915 وقد أهداه إلى المازني، وكان المازني في خلال سنة 1914 قد بدأ ينشر في جريدة عكاظ الأسبوعية نقده لشعر حافظ إبراهيم، وبدأ هذا النقد بعقد موازنة بين شاعرية شكري وشاعرية حافظ، وكان المازني قد كتب في صحيفة "عكاظ" عام 1913م مجموعة مقالات جمعت في كتاب بعنوان "شعر حافظ" عام 1915م اتخذ المقارنة بين شكري وحافظ أساساً لهدم حافظ ومذهبه، معلماً من شأن شكري، كقوله قائلاً: «لا نجد أبلغ في إظهار فضل شكري والدلالة عليه، وبيان ما للمذهب الجديد على التقديم من المزية والحسن، من الموازنة بين شاعر مطبوع مثل شكري، وآخر ممن ينظمون بالصنعة مثل حافظ بك إبراهيم، فإن الله لم يخلق اثنين هما أشد تناقضاً في المذهب وتبايناً في المنزع من هذين، والضد كما قيل يظهر حسنه الضد»، فقد نقد 'حافظاً' نقداً شديداً وهاجمه هجوماً عنيفاً، وجرده من شاعريته واسترسل المازني يقول في هذه الموازنة: «حافظ نشأ أول ما نشأ بين السيف والمدفع، ومن أجل ذلك ترى في شعره شيئاً من خشونة الجندي، وانتظام حركاته واجتهاده، وضعف خياله وعجزه عن الابتكار والاختراع والتفنن، ولعل هذا هو السبب أيضاً في أن حافظاً لا يقول الشعر إلا فيما يسأل القول فيه من الأغراض، بيد أنه على ما به من ضيق في المضطرب، وتخلف في الخيال، كان أفصح

لسان تنطق به الصحف، وأقدر الناس على نظم معانيها، وتنضيد أخبارها، وتنسيق فقرها، لو أن هذا مما يحمد عليه الشاعر، أو أن في هذا فخراً لأحد، شاعراً كان أو غير شاعر.

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن شكري فيقول: «أما شكري فشاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية، ولا يصبو به إلى أعماق من قلبها- ذلك دأبه وكده- وهو لا يبالغ كحافظ في تحبير شعره وتديبجه، بل حسبه من الوشي والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد، وأن يفضي إليك بنجوى القلوب والضمائر، وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر، واقتزار ضوء القمر على مكفر القبور، ووميض الابتسامات في ظلام الصدور، وأن ينشقك نسيم الرياض وأنفاس السحر، وأن يشعرك هزة الحنين ودفعة اليأس والأمل، وأن يغوص بك في لجج الفكر ليكشف لك عن معان لا يدركها التعبير، ويتناول أبسط معاني الطبيعة والعقل وأشدّها ارتباطاً بالحياة واتصالاً بالنفس، ثم يصوغ لك منها شعراً نقي المستشف كثير الماء جم المحاسن».

ويمضي على هذا النمط في تعديد مزايا شعر شكري وعيوب شعر حافظ، وينهي الموازنة بقوله: «إن حافظاً إذا قيس إلى شكري كالبركة الآجلة إلى جانب البحر العميق الزاخر».

وكان المازني يهتم حافظاً بأن جيده مسروق من القدماء، وقد كتب عدة مقالات في 'سرقات حافظ' وهي سرقات مدعاة، تعسف المازني في معظمها. وظل المازني يلاحق 'حافظاً' بنقده حتى استقامت شاعريته، وجادت معانيه واعترف المازني بشاعرية حافظ فقال: أما ما قلناه من نقد لشعر حافظ فقد أسقطناه بعد أن استقامت شاعريته، وتعمقت معانيه، وأصبح شعره جيداً، وهذا نقد بناء، بين فيه المازني طريقته في النقد.

في سنة 1921 ظهر الجزء الأول من كتاب الديوان الذي اشترك في تأليفه الأستاذان العقاد والمازني، ونقد فيه الأستاذ العقاد شعر شوقي نقداً شديداً للهجة، وحمل على شوقي وأنصاره حملة شعواء، وتولى المازني نقد شعر شكري، وجعل عنوان الفصل الذي كتبه «صنم الألاعيب»، وهذا الفصل ملآن بالسخرية بشكري وأدبه ونقد أسلوبه، وأخذ عليه اتجاه خاطره إلى فكرة الجنون، وكثرة ترديد هذه الفكرة في دواوينه نقد المازني لحافظ في الميزان وقد تعمدت أن أطيل النقل من رسالة المازني لأوضح جانباً من طريقته في النقد، وأكشف من ناحية أخرى عن مدى تقديره لأدب شكري في هذه الفترة، ووضح أن تحليل المازني لضعف خيال حافظ بنشأته بين السيف والمدفع ليس بشيء. ومبلغ علي أنه لم يقل أحد من النقاد ولا من علماء النفس إن النشأة بين السيف والمدفع تضعف الخيال، أو تحد من قوته، أو تعوق تحليقه، وربما كان الأمر على نقيض ذلك، ويرى بعض الدارسين أنه ربما كان المازني كاتباً قديراً أكثر منه ناقداً ملهماً. بينما يرى آخرون أن ذلك راجع إلى عواطف المازني الجياشة المتقلبة التي خيلت له ذلك، بدليل أنه وصف في كتابه «حصاد الهشيم» ما كتبه عن حافظ

وعن نقده لشعر حافظ بالهراء. إلا أن ذلك لا ينفي المقالات الأخيرة التي كتبها المازني والتي تناول فيها بعض أبيات حافظ بالنقد التطبيقي والتفصيلي مثل: نقده لقصيدة حافظ في زلزال مسينا، حيث يلتقط عدة أخطاء في الذوق الإنساني والشعري، بل في اللغة ذاتها مثل قول حافظ:

فإذا الأرض والبحار سواء في خلاق كلاهما غادران

الذي علق عليه المازني بقوله إنه قد أخطأ في قوله غادران خطأ لا يغتفر، وذلك أنه لا يصح أن تقول محمد وعلي كلاهما مصيبان أو غادران، بل الصواب أن تقول مصيب أو غادر. ثم يستشهد على ذلك بعدة أبيات من الشعر القديم مثل قول ابن الرومي في الهجاء:

إن أبا حفص وعثنونه كلاهما أصبح لي ناصبا

مما دعا النقاد إلى اعتماد نقد المازني كما أنه يشهد للمازني بالفطنة وسلامة الذوق وسعة المعرفة بالشعر جيده ورديئه. وبهذا لا يمكن اعتبار نقد المازني لشعر حافظ كله هراء، وإن يكن العنف والتحامل والإسراف واضحة في الكثير من أجزائه.

وبذلك نستطيع أن نؤكد أن حملة المازني العنيفة على حافظ إبراهيم كانت أقرب إلى النقد الأدبي، أراد المازني أم لم يرد. وإن كنا لا نستطيع إغفال ما في حملة المازني على حافظ من شطط يستطيع كل قارئ أن يحس به مثل قوله من كتيبه عن "شعر حافظ": لو كان للأدب حكومة تنتصف له من المسيء وتكافئ المحسن لكان أقل جزاء حافظ على ما ارتكب من الشعر أن يبتاع ما اشتراه الناس من كتيبه ثم يحرقها بيده، لأن شعره جناية على الأدب وأنت فقد تعلم أن من الشعر ما يكون إثماً ومنه ما هو بريء صالح، أما الإثم فذلك الذي يفسد الذوق ويعود الناس الكذب ويضلل النفوس وشعر حافظ من هذا النوع.

ربما كان الوجه الناقد هو أول وجه طالعنا به المازني في حياته الحافلة المثمرة، فما كانت دراسته عن الشعر، وما كانت كتاباته عن حافظ "إبراهيم إلا كتابات ناقد دارس متعمق، ومع ذلك فقد أنكر عليه الدكتور محمد مندور، وهو يقول:

"وفي رأينا أن الكثير من ملاحظات المازني الجزئية في هذه المقالات الأخيرة من الكتيب يستحق الاعتماد، كما أنه مما يشهد للمازني بالفطنة وسلامة الذوق، وسعة المعرفة بالشعر، جيده ورديئه، وبذلك نخلص إلى أن هذا النقد لا يمكن اعتباره كله هراء كما زعم المازني، وإن يكن العنف والتحامل والإسراف واضحة في الكثير من أجزائه."⁸⁴

هجوم المازني على شكري:

⁸⁴ - النقد والنقاد المعاصرون، لـ محمد مندور، ص 136

في سنة 1921 ظهر الجزء الأول من كتاب الديوان الذي اشترك في تأليفه الأستاذان العقاد والمازني، ونقد فيه الأستاذ العقاد شعر شوقي نقداً شديداً للهجة، وحمل على شوقي وأنصاره حملة شعواء أي حرباً عنيفةً، وتولى المازني نقد شعر شكري، وجعل عنوان الفصل الذي كتبه "صنم الألاعيب"، وهذا الفصل ملآن بالسخرية بشكري وأدبه ونقد أسلوبه، وأخذ عليه اتجاه خاطره إلى فكرة الجنون، وكثرة ترديد هذه الفكرة في دواوينه، وختم المازني نقده بقوله:

"وقد سبق لنا أن نهينا شكري إلى ما في شعره من دلائل الاضطراب في جهازه العصبي، وأشرنا عليه بالانصراف عن كل تأليف أو نظم ليفوز بالراحة اللازمة له أولاً، ولأن جهوده عقيمة، وتعبه ضائع ثانياً".

وهكذا هاجم المازني شكري هجوماً عنيفاً في الجزء الأول من الديوان، وأخذ يشكك في سلامة عقله مستدلاً بعدد من أبيات شكري التي وردت فيها كلمة الجنون. مع أنه من الثابت علمياً أن المجنون لا يحس بجنونه، وعلى العكس من ذلك يؤكد دائماً أنه أعقل العقلاء. والظاهر أن الرأي العام قد أنكر عندئذ على المازني هذا الهجوم العنيف على زميله في المذهب، بل على تناقض في الانتقال العنيف من الإشادة بشكري كما رأينا إلى شن هجوم عنيف عليه، حتى رأينا المازني يحاول تبرير موقفه في الجزء الثاني من الديوان، وإن يكن قد عاد فيه إلى مهاجمة «صنم الألاعيب» من جديد فيقول:

كتبنا كلمة أولى عن شكري أرضت اثنين: أهل المذهب العتيق البالي الذين كانوا يأبون إلا أن يعدوا شكري من دعاة الجديد وإلا أن يحسبوه علينا ويأخذونا بشعره، ولكن هؤلاء سخطوا من حيث رضوا، ولم يرقهم أن نميط الأذى عن المذهب الجديد وننفي عنه وخامة شكري. وليس يعيننا أمرهم ولا نبالي سخطهم من رضاهم فإنهم في رأينا "جثث محنطة"، ثم يقول: «مسكين هذا الصنم، لا يعرف ليكمه ماذا يقول ويتطوع المشفقون عليه للدفاع عنه فيجيء دفاعهم أقتل له من نقدنا، وينتقمون منا أنا جعلناه "صنم ألاعيب"، وهم يسخرون منه ويتضحكون به، وماذا يجدي ذودهم عنه.. لقد كنا وكان شكري نخلص له النصيح ونمحسه الرأي والسداد، ونشجعه ونغبط بما نراه من تملله من قيود العهد القديم، ونعتد ذلك منه رغبة صادقة في التحرر ونجري مع الأمل فيه، فهل كان عليه أن نظل العمر طامعين في غير مطمع ثم أهملناه على شيء من اليأس منه، ثم تخشنا له وعنفنا عليه في الزجر فلم يغن لا الإغضاء ولا اللين ولا العنف، وصار سادراً ركباً رأسه حتى أحفاه! ولقد كنا في كل ما كتبناه عنه في أول عهده بقرض الشعر لا نغفل إلى جانب التشجيع أن ننبيه إلى عيوبه، فقلنا عنه لما صدر الجزء الثاني من ديوانه: إنه يطاء مفاخر الصنعة بقدميه، وإنه لا يتعهد كلامه بهذيب أو تنقيح، ولا يبالي أي ثوب ألبس معانيه، وعللنا يومئذ جموحه هذا بأنه نتيجة طبيعية لتمادي الشعراء في المنهج القديم ولجأهم في احتذاء المثل العتيق، أي إنه نتيجة رد فعل، فهو تطوح وتطبيق للعقل يقابلها من الجهة الأخرى

غطيط المقلدين في كهف الماضي، وكان ذلك في سنة 1913، فهل يرى أحد أن رأي اليوم لا يتفق مع رأي الأمس إن صح أن هناك رأيين؟ كلا لقد أدينا الواجب له قديماً، ولكننا اليوم نؤدي حق الأدب وحده".

ويمكن لنا أن نقول إن هذا العنف ظهر كذلك في نقده للمنفلوطي حيث وصف كتاباته وأدبه بأنه أدب الضعف والنعومة، وأخذ على المنفلوطي إسرافه في العاطفية إسرافاً يمكن تفسيره بالافتعال والنعومة ويأخذ عليه إسرافه في استعمال المفعول المطلق ويقول أنه قد أحصى له 572 مفعولاً مطلقاً في كتابه "العبرات" و 30 في قصة "اليتيم" وحدها مع أنها تقع في 19 صفحة من العبرات وأورد له أمثلة زعم أنه من الممكن الاستغناء عنها دون اضطراب في التعبير.....إنه يتساءل:

"ماذا في كتابات المنفلوطي مما يستحق أن يُعَدَّ من أجله كاتباً أو أديباً، إلا إذا كان الأدب كله عبثاً في عبث لا طائل تحته؟ سمعت بعض السخاء من شيوخنا المائتين يقول: إن في أسلوبه حلاوة ولو أنه قال: نعومة لكان أقرب إلى الصواب، ولو قال: أنوثة لأصاب المحز.....ولست بواجد شيئاً من هذه الحلاوة في كلام المنفلوطي، سواء في ذلك شعره ونثره، لأنه متكلف متعمل، يتصنع العاطفة كما يتصنع العبارة عنها، وقد أسلفنا أن وصف أسلوبه بالنعومة أقرب إلى الصواب، ولكنه ليس كل الصواب، لأنه متجاوز ذلك، ذاهب إلى أدنى منه، وليس أدنى من ذلك إلا الأنوثة، وهي أخط وأضر ما يصيب الأدب، ولكنها مع الأسف تجوز على فريق من الناس يتلذذونها ويسوغونها ويعجبون بها، ويبلغ من استحسانهم إياها أن يشجعوه ويقروه بالكذب إبراز ما ليس أمثل منه للرجولة وأعصف"⁸⁵

وليس من شك في أن هذا النقد قد تميز بالعنف، والاندفاع، وهو وإن كان صواباً إلا أنه ليس كل الصواب، فليس كل أدب المنفلوطي على هذا النحو، وليس أسلوبه سيئاً بهذه الصورة، بل ربما كان العكس هو الصحيح، فقد كانت كتابات المنفلوطي متميزة بشاعرية العبارة، ورقة الأسلوب مع فخامة الألفاظ، وكانت جملة وتعبيراته ذات وقع جميل على السمع، حتى ليتمكن حفظها وترديدها من الذاكرة في يسر وسهولة، ولا تزال كتبه تجد -حتى اليوم- إقبالا وقبولاً.

وللمازني أسلوب في النقد يقوم على المراوغة في بعض الأحيان، حينما يطلب إليه أن يعرض أو يتعرض لكتاب، ليس محل رضاه أو تقديره، وهو في نفسه لا يريد أن يُغَضَّب من طلب إليه....ومن ذلك من أن كتابته عن الأدبية "مي" كان المازني يرى فيما تكتب ما هو جدير بأن يحتل مكانة متميزة.....ومن هنا جاء نقده لكتابتها على النحو التالي:

⁸⁵ - الديوان، طبعة دار الشعب، ص 84، 89

" تلقيت كتابي الآنسة مي " الصحافة ، وظلمات وأشعة في ساعة نحس ، وكنت قد باعدت بيني وبين الأدب و طلقته ثلاثا، أو على الأصح فترت عنه، و ضعفت عندي بداعته ، ثم قلبت القضية ، وعكست المسألة و حملت الأدب عيبي ، وزعمته أصل البلاء و الداء العياء ، وإذن فالنجاء منه النجاء . وفي الكتب - كما في الناس - المجدود و المنحوس ، و المرموق من القلوب ، والبغيض إلى النفوس ... وهي تلقى من تصارييف الأيام و انتقال الأحوال مثلما يلقي كتابها و قراؤها - و غير كتابها و قرائها - سواء بسواء فكم من كتاب جليل لازمه الخمول، كأنه حين يخرج من المطبعة سقط في جب، و كم من مؤلف قيم عَبَّرَ "هولاكو" على جثته ، و أفاض روحه في وثبته ، فليس الناس وحدهم يموتون ، ولكن هي الكتب أيضا تحيا و تموت ، و تطول آجالها و تقصر، و تبیت جميعها ، و تصبح مفرقة.. و قلت لما تلقيت الكتابين : يا لها من ثروة! و أحسب أن الواجب يقتضي أن أقرأهما و أعني بتدبرهما ثم أكتب عنهما . لا شك أن هذا هو واجبي - على الأقل في رأس أنستنا - فما أثقل الواجب ! و ما أعظم شُكِّي في إخلاص من لا يفتنون يتغنون بحمده و يشيدون بحسنه و جلاله ! من الذي يحب "الواجب" لذاته؟ أين هذا الفنان الذي يزاول الواجب و يتوخاه إرضاء لعاطفته الفنية؟ لست أنا به على كل حال...⁸⁶

غير أن الأستاذ عبد القادر المازني كتب كثيرا من النقد اللاذع ، و نقد طه حسين بصورة تمثيلية نقدية علي أثر التشكيك الذي نادي به طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" يقصد المازني هنا أن طه حسين يكتب في أشياء عديدة مختلفة عن بعضها وفي مجالات مختلفة وأن لغته مختلفة من كتاب لآخر حتي تظن أنها كتب للعديد من الكتّاب وليس لكاتب واحد، و نقده في كتابه " حديث الأربعاء " قائلا:

كلا يا سيدي : لم يكن بد من أن يتجنب الدكتور التعمق في البحث، والإلحاح في التحقيق العلمي، إذ كانت الصحف السيارة لا تصلح لمثل هذا! ولكم وددت - أنا المازني - حين قرأت هذه المقدمة التي صدر بها الدكتور كتابه، و قبل أن يصل حائك الأقدار ما بين أسبابي و أسبابه أن أعلمه احترام اقراء! ولكني خالطته، فأحببته مع الأسف! وإنني لأتمرد أحيانا على هذه العلاقة التي توثقت عراها بيننا، و يتقمصني عفريت النقد الذي لا يُحابي الأصدقاء... فأرفع بالفأس كلتا يديّ و أشب عن الأرض ، و أهم بالضربة تفلق اليافوح فيطالعني وجهه الساكن، و جبينه المشرق، و هو جالس إلي يحادثني و يقاسمني ما أعانيه من المضض، و يحمل عني شر شطريه ، فتهدى قبضتي، و تفلت الفأس ، و تهوي ذراعي إلي جانبي، و تملكني عاطفة فنية تجعلني أقول : خسارة! نعم من الخسارة أن أحطم هذا الرأس ! فإن في الجبين لالتماعًا ، و في العظام قوة، و في التركيب متانة ، و أولى بذلك كله ريشة المصور لا فأس

⁸⁶ حصاد الهشيم ، لـ عبد القادر المازني، طبعة دار الشعب مصر ، ص 199

التحطيم و معول الهدم ! وليتني كنت مصورا ! إذن لأنطق هذا الوجه بما عجز عنه قلم صاحبه. ولقد كان من أطرف و أعمق ما كتبه المازني نقدا لأسلوب طه حسين حيث يقول :

" ومن هنا كان أسلوب الدكتور طه خطابيا ، أو قل : إن الصبغة الخطابية ، فيه أغلب من الصبغة الكتابية ، و خصائص تلك ومميزاتها أوضح ، فهو في الأغلب والأعم يوجه الخطاب إلى القارئ كما تفعل حين تحادث جليسا لك ، و يقصر جملة و يؤكد عباراته بالتكرير والإعادة ، و يلتمس التأثير من طريق ذلك ، حتى و أنت تقرأ كلامه كأنما كان يهز قبضة يده حين بلغ هذه العبارة ، و يومئ بأصبعه لما وصل إلى تلك ، إلى آخر ذلك. و الخطابة فن مختلف جداً عن فن الكتابة ، و أحسب أنه لو كان الدكتور قد ألقى هذه الرسائل ولم يكتبها ، لما جاءت إلا كما هي الآن ، و من شاء أن يكون منصفاً و أن يوفي كتابة الدكتور حقها ولا يعدو بها مكانها فلينظر إليها بهذه العين ، و ليزنها بما توزن به الخطابة لا بما تُقدَّر به الكتابة.⁸⁷

والحق أن ما ذكره المازني من نقده لـ حافظ إبراهيم والشكري ، والمنفلوطي و طه حسين لا يسلم له كله ، ومع هذا فإن المازني له جهد في النقد ، وله جهد في الأدب ، وله كتابات في التراجم الأدبية والدراسات الأدبية والنقدية ، لها فوائد كثيرة ، ولا يمكن أن يذكر العقاد وشكري دون أن يذكر معهما المازني.

المراجع والمصادر

- 1- طبانة، بدوي، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، بيروت، دار الثقافة، 1985م.
- 2- قدامة، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، 1979م.
- 3- مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، القاهرة، دار النهضة المصرية، 1969م.
- 4- حمزة، عبد اللطيف، أدب المقالة الصحفية ، بالقاهرة، دار الفكر العربي، 1964م.
- 5- بدوي، أحمد أحمد، (أسس النقد الأدبي عند العرب) نهضة مصر، 1994م
- 6- خفاجي، محمد عبد المنعم، (أصول النقد)، مكتبة الكليات الأزهرية، 1975م.
- 7- البيومي، محمد رجب، (بين الأدب والنقد)، الدار المصرية اللبنانية، 1977م
- 8- الدسوقي، جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث، القاهرة، المكتبة الثقافية، 1971م
- 9- العقاد، ، و المازني، ، (الديوان في الأدب والنقد)، الهيئة العامة للكتاب، 2000م
- 10- هلال، محمد غنيمي، (الرومانتيكية)، بيروت، دار العودة، 1973م
- 11- ضيف، شوقي، (فن النقد الأدبي) دار المعارف، 1966م
- 12- محمد السعدي فرهود، (قضايا النقد الأدبي الحديثة) المحمدية، 1979م
- 13- عثمان، عبد الرحمن، (معالم النقد الأدبي)، القاهرة، 1982م
- 14- هلال، محمد غنيمي، (النقد الأدبي الحديث) الشعب، 1966م
- 15- أمين، أحمد، (النقد الأدبي)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1972م
- 16- عبد القادر المازني ، حصاد الهشيم ، طبعة دار الشعب مصر
- 17- عبد القادر المازني ل قبض الريح – فصل الأساليب و التقليد ص 35 – 36 ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة 2012

⁸⁷ قبض الريح – فصل الأساليب و التقليد ص 35 – 36 ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة 2012

زكاة الحلي

88 محمد رفيق

التمهيد:

حلي المرأة معروف وجمعه حلي وحلي بضم الحاء وكسرهما قال تعالى (من حلهم) يقرأ بالواحد والجمع بضم الحاء وكسرهما. والمراد بالحلي هنا ما تتحلى به المرأة من ذهب أو فضة، ولا يدخل الجواهر واللؤلؤ بخلافه في الأيمان فإنه ما تتحلى به المرأة مطلقا فتحنث بلبس اللؤلؤ أو الجواهر في حلفها لا تتحلى ولو لم يكن مرصعا على المفتى به.

الحلي إما أن يكون من جنس الأثمان (الذهب والفضة)، أو من غيره، فما كان من غيره كاللؤلؤ والمرجان والياقوت، وغيره؛ فلا زكاة فيه، إلا إن كان للتجارة، فيزكى زكاة التجارة، وإن كان الحلي من الذهب والفضة؛ ففيه تفصيل. فإن كان عرض تجارة فيزكى زكاة التجارة، وإن كان لغير التجارة فإما أن يكون محظورا أو مباحا وإن كان محظورا كالحلي للرجل مثلا فالزكاة فيه واجبة وإن كان مباحا كالحلي المستعمل للمرأة ففيه تفصيل. وإن بلغ النصاب وجبت زكاته عند أبي حنيفة وقال مالك والشافعي وأحمد: لا زكاة فيه إلا إذا بلغ حد الإسراف.

المذهب الشافعي: أما الشافعية فذهبوا إلى عدم وجوب الزكاة في الحلي المباح المعد للاستعمال قال الشافعي رحمه الله تعالى: أخبرنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة أنها كانت تحلي بنات أخيها أيتاما في حجرها فلا تخرج منه زكاة وروي عن ابن عمر أنه كان يحلي بناته وجواريه ذهبا ثم لا يخرج زكاته (قال) يروي عن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن العاص أن في الحلي الزكاة وهذا مما أستخير الله فيه⁸⁹

المذهب الحنفي: ذهب الحنفية إلى وجوب الزكاة في حلي الذهب والفضة الذي تستخدمه المرأة والحلي عندنا نصاب للزكاة سواء كان للرجال أو للنساء مصوغا صياغة تحل أو لا تحل⁹⁰ دلائل الحنفية:

أولا: من كتاب الله: قال تعالى: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" (سورة التوبة 34)

وجه الدلالة من الآية الحلي داخل في عموم الآية اشتملت الآية الكريمة على وعيد شديد لمن يكنز الذهب والفضة، وترك إنفاقها في سبيل الله، من غير فصل بين الحلي وغيره، وكل مال لم تؤد زكاته

⁸⁸ الأستاذ المساعد بكلية صدقة الله أبا فاليم كوتي ترونالوبي

⁸⁹ - الحاروي الكبير - الجزء الثالث - الصفحة 271

⁹⁰ - المبسوط - الجزء الثاني - الصفحة 192

فهو كنز، ولا يلحق الوعيد إلا بترك الواجب، فدلّ ذلك على وجوب الزكاة في حلي المرأة من الذهب والفضة.

والدليل الثاني من السنة: عن عبد الله ابن شداد أنه قال: دخلنا علي عائشة رضي الله عنها فقالت: دخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فرأي في يدي فتحات من ورق فقال: ما هذا يا عائشة؟ فقلت: صنعتن أتزين لك يا رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: أتؤدين زكاتهن؟ قالت: لا أو ما شاء الله قال: هو حسبك من النار⁹¹.

وجه الدلالة من الحديث: يدل الحديث بوضوح على وجوب الزكاة في الحلي المصنوع من الفضة؛ لأن العقوبة بالنار، لا تكون إلا بترك واجب.

والحديث الثانیین عطاء عن أم سلمة قالت: كنت ألبس أوضاحا من ذهب فقلت: يا رسول الله صلي الله عليه وسلم أكنز هو؟ فقال: ما بلغ أن تودي زكاته فزكي فليس بكنز⁹²

وجه الاستدلال بالحديث: يدل الحديث بوضوح على وجوب زكاة الحلي المصنوع من الذهب؛ لأن عدم الزكاة يؤدي إلى الكنز المحرم، بالإضافة إلى الأمر الوارد في الحديث، والذي يفيد الوجوب. والحديث الثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجنبه وظهره"⁹³

والحديث الرابع: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رسول الله صلي الله عليه وسلم ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها: أعطيني زكاة هذا؟ قالت: لا، قال: أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟ قال: فخلعتهما فألقتهما إلي النبي صلي الله عليه وسلم وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله⁹⁴

وجه الاستدلال بالحديث الشريف، يفيد الحديث الشريف بوضوح وجوب الزكاة في حلي المرأة المصنوع من الذهب؛ لأن العقوبة بالنار، لا تكون إلا بترك الواجب، كما أن الأمر يقتضي الوجوب؛ ولهذا يعد الحديث نصاً في الموضوع.

دلائل الشوافع:

⁹¹-رواه أبو داود - الجزء الثاني - الصفحة 95

⁹²-رواه أبو داود - الجزء الثاني - الصفحة 95 بسند رجاله ثقات إلا أن عطاء - وهو ابن أبي رباح - لم يسمع من أم سلمة فيما قاله علي بن المديني. ومع ذلك فقد صححه ابن القطان، وجود إسناده الحافظ العراقي فيما نقله عنهما الحافظ ابن حجر في "الفتح" (272/3)

⁹³- ما رواه مسلم الجزء الثاني - الصفحة 680

⁹⁴-رواه أبو داود - الجزء الثاني - الصفحة 99

أولاً من كتاب الله عزوجل: قال الله تعالى: "والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" (سورة التوبة-34)

وجه الدلالة من الآية أن قوله تعالى: "ولا ينفقونها في سبيل الله" يدل أن الزكاة إنما تجب فيما ينفق من الذهب والفضة وليس الحلي كذلك وإن لفظ الكنز لا يطلق علي الحلي المتخذ للاستمتاع وإنما المراد بالآية الذهب والفضة التي من شأنها أن تنفق بدليل قوله: ولا ينفقونها وذلك إنما يكون في النقود لا في الحلي الذي هو زينة ومتاع

والدليل الثاني من السنة: فالحديث الأول في هذا الباب عن زينب امرأة عبد الله قالت: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن"⁹⁵

وجه الدلالة: المراد بالصدقة الصدقة التطوعية لا الواجبة لأن النصاب موجه لجميع الحاضرات من النساء وفيهن من تملك النصاب ومن لم تملك النصاب فهو خص لهن علي صدقة التطوع وأن قوله عليه الصلاة والسلام: تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن دليل علي عدم وجوب الزكاة في الحلي إذ لو كانت واجبة في الحلي لما جعله النبي صلي الله عليه وسلم مضرباً لصدقة التطوع.

والحديث الثاني: عن يحيى بن عمار بن أبي الحسن أنه سمع أبا سعيد رضي الله عنه يقول: قال: النبي صلي الله عليه وسلم: ليس فيما دون خمس أواق صدقة⁹⁶.

وجه الدلالة: قال الشوكاني رحمه الله: ولا يصح استدلال من استدل علي وجوب الزكاة في الحلية بما ورد من ذكر الزكاة في الورق والزكاة في الرقة في الأحاديث لأنه قد ثبت في كتب اللغة: الصحاح والقاموس وغيرهما: أن الورق والرقة اسم للدراهم المضروبة فلا يصح الاستدلال بهذين اللفظين علي وجوب الزكاة في الحلية بل هما يدلان بمفهومهما علي عدم وجوب الزكاة في الحلية⁹⁷

روي الإمام مالك في الموطأ عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن عائشة كانت تلي بنات أخيها يتامي في حجرها لهن الحلي فلا تخرج من حليهن الزكاة⁹⁸

المناقشة حول الأدلة الشافعية:

حديث "تصدقين يا معشر النساء ولو من حليكن" أجاب عنه الحنفية بأنه لا يدل علي عدم وجوب الزكاة في الحلي وإنما يدل علي الوجوب لأن معناه: تصدقن من جميع الأموال التي تجب فيها الزكاة ولو كانت من حليكن وذكر لو لا يدفع توهم من يتوهم أن الحلي من الحوائج الأصلية.

⁹⁵ - صحيح مسلم - - الجزء الثاني - الصفحة 694

⁹⁶ - صحيح البخاري - الجزء الثاني - الصفحة 107

⁹⁷ - السيل الجرار المتدفق علي حدائق الأزهار - الجزء الأول - الصفحة 233

⁹⁸ - الموطأ - الجزء الثاني - الصفحة 351

حديث جابر (ليس في الحلي زكاة) ضعفه كثير من العلماء لأن فيه عافية بن أيوب وهو مجهول و بعد توثيقه أبو زرعة حيث قال: هو مصري ليس به بأس لكن لا يعد هذا الحديث صحيحاً لأن فيه ابراهيم بن أيوب وهو ضعيف ذكره أبو العرب في الضعفاء فلا يصلح الحديث للاحتجاج به حديث عائشة "كانت تلي بنات أخها" صحيح الاسناد لكنه حمل الحنفية علي لأنه كان أقل من النصاب. المناقشة حول الأدلة الحنفية:

أما الإستدلال بالآية الكريمة "والذين يكتزون الذهب والفضة" استدلال في غير محله لأن الآية نزلت في أهل الكتاب ثم نسخ ذلك بفرض الزكاة وبيان نصابها ومقاديرها والأموال التي تجب فيها ومع القول بأنها محكمة فهي عامة مجملة خصصتها فصلتها السنة الصحيحة ومن ذلك الأدلة الواردة في عدم وجوب الزكاة في حلي المرأة المصنوع من الذهب والفضة.

وأما الأحاديث الخاصة الواردة في زكاة الحلي فأجابوا عنها بأنها ضعيفة كلها قال الترمذي: ولا يصح في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء⁹⁹. وقد حاول بعض من يصحح هذه الأحاديث توجيهها وصرفها عن ظاهرها ، وقيل في ذلك أقوال كثيرة ، ولكنها لا تخلو من ضعف وتكلف. فقيل: إن هذا كان في الوقت الذي كان الذهب محرماً على النساء ولو كان هذا صحيحاً لنهاهن النبي صلى الله عليه وسلم عن لبسه قبل أمرهن بالزكاة.

ويجاب عن ذلك بأن ابن عمر كان لا يزكي حلي بناته بالإضافة الي عدم زكاة حلي جواريه وكان ابن عمر يزوج بنته علي ألف دينار ذهب يحلها منه بأربعمئة ولا يزكي ذلك الحلي . وقال الباقي عن إسقاط الزكاة عن الحلي : "وهذا مذهب ظاهر بين الصحابة"¹⁰⁰.

أثر عمر ضعيف لعدم سنده فشعيب بن يسار لم يدرك عمر وأنكره الحسن البصري وقال لا نعلم أحداً من الخلفاء قال في الحلي زكاة.

وقالوا : إن قاعدة الزكاة كل ما كان للكنية والاستعمال الشخصي فلا زكاة فيه. فكل مال ولو كان أصله زكواً إذا أعد للاستعمال لا زكاة فيه ، كالعوامل من الإبل والبقر ، لأن صاحبها لما أعدها للاستعمال خرجت من أصلها الزكوي إلى أصل غير زكوي.

خلاصة الأسباب التي لأجلها اختلف المذهبان في هذه المسألة:

الأول: لم يرد نص صريح صحيح يوجب الزكاة فيه أو ينفيها عنه وإنما وردت أحاديث اختلف أهل العلم في ثبوتها كما اختلفوا في دلالتها.

الثاني: الإختلاف في مفهوم حلي الذهب والفضة الذي تستخدم المرأة هل يعتبر كالعروض والامتعة التي تقتني للإنفاق الشخصي أم أنه يعتبر كالسبائك الذهبية والفضية التي تمتلك بقصد الادخار

⁹⁹ - سنن الترمذي (30/3)

¹⁰⁰ - "المنتقى شرح الموطأ" (107/2)

الحاصل لـ:

نستطيع أن نخرج بالنتائج بعد دراستنا لهذا البحث:

- 48

الأسئلة التجزئية للاختبار التنافسي¹⁰¹

Objective Questions

تذكر دائماً أن الليل هو بداية النهار .. و الشتاء هو بداية الربيع .. و الألم هو بداية الراحة .. و التحديات هي بداية الخير .. و التفاؤل بالخير هو بداية القوة الذاتية .. لذلك عش كل لحظة و كأنها آخر لحظة في حياتك .. عش بحبك لذاتك .. ومن ثم للآخرين .. عش بالأمل .. عش بالكفاح .. عش بالصبر.

من هو صاحب قصيدة نهج البردة؟

ج/ الشاعر المصري احمد شوقي

من هو صاحب قصيدة البردة؟

ج/الشاعر المخضرم كعب بن زهير

من هما الشاعران اللذان اطلق عليهما الطائيان؟

ج/ البحري و ابو تمام من العصر العباسي

متى يمكن ان نطلق على الشعر شعراً؟

ج/ اذا كان موزوناً ويزيد عن سبعة أبيات

من هو الشاعر الذي قتله شعره؟

ج/ الشاعر العباسي أبو الطيب المتنبي

من هو اشعر الشعراء؟

ج/الشاعر الجاهلي امروء القيس

مالقصود بالشعر الحر؟

ج/ هو الشعر المتحرر من القافية

من هو الشاعر العربي الذي حمل رسالة قتله بيده؟

ج/الشاعر الجاهلي طرفه بن العبد

من الشاعر صاحب كتاب الحماسة وكتاب فحول الشعراء؟

ج/هو أحد أمراء البيان في العصر العباسي حبيب بن أوس الحارث الطائي كنيته أبو تمام

من الشاعر الذي قيل عنه انه ملأ الدنيا وشغل الناس؟

ج/ الشاعر العباسي أبو الطيب المتنبي

من هو الشاعر الذي لقب بالحوليات لانه كان يمضي حولا كاملاً بنظم القصيدة؟

ج/ الشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى

من القائل: اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم؟

¹⁰¹ مأخوذة من كتاب " راند الاختبار لنجاح الأبرار" للدكتور معراج الدين الندوي

ج/ الشاعر العباسي أبو الطيب المتنبي

ماذا نقصد بقولنا حياك الحيا ؟

ج/ الحيا هو المطر وحيالك الحيا أي أكثر المطر والغيث في أرضك

من القائل: لو كان قلبي معي ما اخترت غيركم ولا رضيت سواكم في الهوى بدلا؟

ج/ الشاعر الجاهلي عنتر بن شداد

ماذا يطلق على القصائد التي اشتهر بها الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني؟

ج/ الاعتذاريات

من الشاعر الذي لقب بالداهية؟

ج/ هو الشاعر الأموي حارثة بن بدر صديق زياد بن أبيه، لقب بالداهية

من أول من قال (خالف تذكر)؟

ج/ الشاعر الحطيئة

من صاحب القصيدة العينية؟

ج/ ابن سينا

من أول من ألف قصيدة في العشق؟

ج/ الجاحظ

من القائل فاعترب تتجدد؟

ج/ أبو تمام

من الذي قيل عنه في شعره ينحت من صخر؟

ج/ الفرزدق

من الذي قيل عنه في شعره انه يغرف من بحر؟

ج/ جرير

من هو اهجي شعراء العرب؟

ج/ جرير

من هو الشاعر الجاهلي الصعلوك الذي يضرب به المثل بسرعة الركض؟

ج/ الشنفرى

سر السعادة/ قصة قصيرة

كان أحد الشبان شغوفاً لأن يعرف سر السعادة، فسأل كثيراً من الناس الى ان نصحه أحدهم بزيارة قرية معينة في الصين بها رجل حكيم طاعن في السن سيدلك على سر السعادة. وبدون إضاعة أي وقت استقل أول طائرة متوجهة الى الصين حيث كان شديد الحماس للوقوف على سر السعادة ولما وصل أخيراً الى تلك القرية وقال في نفسه "الان سأكتشف السر الذي كنت أبحث عنه لمدة طويلة." ووصل الى بيت الحكيم الصيني وطرق الباب ففتحت له سيدة كبيرة في السن ورحبت به أخذته الى الصالون وطلبت منه الانتظار وطال إهمال صاحب البيت له، وأخيراً ظهر الرجل الحكيم بمظهره البسيط وملابسه المتواضعة جداً وجلس بوقار الى جانب الشاب وسأله وعلى وجهه ابتسامة عما إذا كان يرغب في أن يتناول قليلاً من الشاي. وكان الشاب في تلك اللحظة على وشك الانفجار قائلاً في نفسه "لقد تركني هذا الرجل العجوز أكثر من ثلاث ساعات بمفردي وأخيراً حينما ظهر لم يعطيني أي مبرر لتأخيره ولم يعتذر عن ذلك، والان يسألني بكل بساطة عما إذا كنت أرغب في تناول الشاي..." وبينما كان الشاب منهمكاً في التفكير في ذلك كان غضبه يزداد حتى سأله الرجل مرة أخرى بهدوء عما إذا كان يريد أن يتناول قليلاً من الشاي... فرد عليه الشاب بعصبية قائلاً "نعم أريد أن أتناول الشاي..." فطلب له كوباً من الشاي وجلس بهدوء الى جانبه. ولما حضر الشاي سأل الرجل ضيفه "هل تريد أن أملأ لك كوباً من الشاي..." فرد عليه الشاي بالاجاب.. فصب الحكيم الشاي في الكوب الى أن امتلأ الى اخره وبدأ الشاي يسيل خارج الكوب وما زال هو مستمراً في صب الشاي الى ان نهض الشاب واقفاً وانفجر في الرجل الحكيم قائلاً "ألا ترى أن الكوب قد امتلأ الى اخره وأن الشاي قد سال خارجه وملأ المكان؟" ... فرد عليه الحكيم وقال بابتسامة هادئة "أنا مسرور لأنك استطعت أن تقوم بالملاحظة أخيراً..." ثم أردف قائلاً وقد نهض من مكانه "لقد انتهت المقابلة..." فصرخ الشاب في وجهه قائلاً "ماذا تقول؟ لقد سافرت كل هذه المسافة وتركتني في انتظارك أكثر من ثلاث ساعات وملأت كل المكان بالشاي وسال على الارض، والان تقول لي أن المقابلة قد انتهت... هل أنت تمزح معي؟" ... فقال الرجل الحكيم "اسمع يا بني، يجب أن تحضر لي مرة أخرى عندما يكون كوبك خالياً..." فسأله الشاب عما يقصده بذلك، فرد عليه الحكيم الصيني قائلاً "عندما يكون الكوب مملوءاً بالشاي فلا يمكن أن يستوعب أكثر من ذلك، وبناء عليه اذا استمرت في أن تصب فيه أكثر مما يمكنه أن يستوعب فانك ستتلف الكثير من الاشياء حولك، وهذا أيضاً ينطبق عليك فأنت عندما استمرت في غضبك أصبح كوبك مملوءاً الى اخره وأخذت تصب فيه أكثر الى أن زاد غضبك وأصبحت عصبياً أكثر من اللازم، والنتيجة هنا أيضاً عبارة عن خسارة كبيرة". وبعد ذلك أوصله الى الباب وقال له: "إذا أردت أن تكون سعيداً يا بني فتعلم كيف تتحكم في شعورك وتقديراتك، وتأكد دائماً أن يكون كوبك خالياً فهذا هو مفتاح السعادة.

مساهمات محمد الغزالي في خدمة الإسلام

(1917 - 1996م)

102 شيخ جاويد أحمد

الشيخ محمد الغزالي عالم جليل و شيخ فاضل كان له أعظم الأثر في الدعوة الإسلامية في واقعنا المعاصر، يعد الغزالي واحداً من دعاة الإسلام العظام، ومن كبار رجال الإصلاح، اجتمع له ما لم يجتمع إلا لقليل من النابغين؛ فهو إلى جوار إيمانه الصادق، مجاهد داعية، عاش لإسلامه وعقيدته ونذر حياته كلها لخدمته، وسخر قلمه وفكره في بيان مقاصده وجلاء أهدافه، وشرح مبادئه، والذود عن حماه، والدفاع عنه ضد خصومه، لم يدع وسيلة تمكينه من بلوغ هدفه إلا سلكها في تبليغ ما يريد .

ولد الشيخ محمد الغزالي في قرية "نكلا العنب" التابعة لمحافظة الحيرة بمصر في 22 سبتمبر عام 1917م، ونشأ في أسرة كريمة، وتربي في بيئة مؤمنة، فحفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، وقرأ الحديث في منزل والده، وتلقي تعليمه في كتاب القرية، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، وظل بالمعهد حتي حصل منه علي شهادة الكفاءة، ثم الشهادة الثانوية الأزهرية، ثم انتقل إلى القاهرة سنة 1937م والتحق بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر عام 1937م وتخرج فيها سنة 1941م وتخصص بعدها في الدعوة والارشاد ثم حصل علي درجة العالمية سنة 1943م وعمره ست وعشرون سنة، وبدأت بعدها رحلته في الدعوة في مساجد القاهرة.

الشيخ محمد الغزالي من أركان الدعوة في العالم الإسلامي وله علاقة قريبة مع دعاة العالم الإسلامي فعلى سبيل المثال من أبي الحسن الندوي بالهند، والشيخ علي الطنطاوي في سوريا، وفي مصر الأستاذ حسن البنا، والشيخ علي هضيبي، والسيد قطب، ومحمد أبو زهره، وعبد الحليم عويس، والشيخ محمود شلتوت.

وقضي أكثر من عمره من حيث الداعية في مصر وخارجها فطاف في سائر العالم مبلغاً وداعياً للدعوة الإسلامية، وكان الشيخ يذهب دائماً إلى المؤتمرات للشبان والطلبة في أوروبا وأمريكا وكان له دور رائد في أكثر المؤتمرات. وألف على موضوع الدعوة الإسلامية عدة كتب، منها: "مع الله الدراسات في الدعوة

102 الباحث بقسم اللغة العربية بجامعة بركة الله، هوبال (إيم. بي) - 102

والدعاة"، و"كيف نفهم الإسلام"، و"ليس من الإسلام"، و"جهاد الدعوة". وقضي حياته الباقية داعياً وخطيباً، ومشاركاً في الندوات والمؤتمرات.

ثم لم يلبث أن ظهر أول مؤلفات الشيخ الغزالي بعنوان "الإسلام والأوضاع الاقتصادية" سنة 1947م، أبان فيه أن للإسلام من الفكر الاقتصادي ما يدفع إلى الثروة والنماء والتكافل الاجتماعي بين الطبقات، ثم أتبع هذا الكتاب بأخر تحت عنوان "الإسلام والمناهج الاشتراكية"، مكملاً الحلقة الأولى في ميدان الإصلاح الاقتصادي، شارحاً ما يراد بالتأمين الاجتماعي، وتوزيع الملكيات على السنن الصحيحة، ووضع الفرد من الأمة ومسؤولية الأمة عن الفرد، ثم لم يلبث أن أصدر كتابه الثالث "الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسمالين" والكتب الثلاثة تبين في جلاء جنوح الشيخ إلى الإصلاح في هذه الفترة المبكرة، وولوجه ميادين في الكتابة كانت جديدة تماماً على المشتغلين بالدعوة والفكر الإسلامي، وطرقه سبلاً لم يعهدها الناس من قبله، وكان همُّ معظم المشتغلين بالوعظ والإرشاد. الشيخ محمد الغزالي كان واحداً من الدعاة الذين طار صيتهم في العالم كله وتلقوا قبولاً حسناً من جماهير الأمة الإسلامية، وهو الذي استحفظ الدعوة الإسلامية بكلماته البليغة، وخطباته الفاضلة، ذلك قد أعطاه الله بصيرة وحكمة وإخلاصاً لم يهتد إليه إلا القلائل. يعتبر الغزالي أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، عرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي وكونه من "المناهضين للتشدد والغلو في الدين" كما عرف بأسلوبه الأدبي الرصين في الكتابة واشتهر بلقب أديب الدعوة. إن الشيخ الغزالي انتهج منهجاً في الدعوة جدد به دماءها، اقتفى فيه أثر رسول الله وصحبه الكرام، وسلك طريقة في الإصلاح والفكر والتغيير أصلح بها كثيراً من المفاهيم، وأحيا الفكر الإسلامي. ويلقى الضوء على مقتضيات العصر في سبيل الدعوة والإرشاد "أما في هذا العصر، فإن أعداء الإسلام قد تضاعف نشاطهم، ونمت أحقادهم، وكثرت العقبات التي وضعوها في طريق الدعوة، استطاعوا استغلال التفوق الحضاري لوقف الزحف الإسلامي في أقطار كثيرة، بل ولعلمهم استغلوا ثرائهم وقدرتهم في فتنة طوائف من المسلمين في أفريقيا وآسيا وأوروبا، وكذلك لا يكفي أن تعمل أجهزة الدعوة الإسلامية، بل لابد وأن تكون من وراءها خدمات شتى إجتماعية وصحية وتعليمية وثقافية.

ألف محمد الغزالي أكثر من خمسة وخمسين كتاباً في موضوعات مختلفة في أسلوب علمي أدبي رصين وعمل كداعية في مصر وخارجها فكما سُمعت منابر مساجد مصر جلجلة صوته، سمعتها المملكة العربية السعودية وقطر والكويت والجزائر وغيرها، قضي في المملكة العربية السعودية عاملاً ومعلماً، سبع سنوات فقد كان له برنامج يومي في المذيع كما كان يشارك في التلفاز وفي الصحف فضلاً عن جهوده في

جامعة أم القري ولا سيما طلاب الدراسات العليا بالإضافة إلى اسهاماته في مجالس الجامعات الأخرى وفي قطر كان يمضي نصف عام كل سنة ولفترة طويلة دأبت دولة الكويت علي دعوته خلال شهر رمضان حيث كان يشارك في بعث الوعي الإسلامي ويلقي محاضرات وقد كان الشيخ يدعي دائما إلى المؤتمرات الشبابية والطلابية في أوروبا ولمدة سبع سنوات بقي الشيخ الغزالي يجاهد في الجزائر فقد كان له حديث تلفازي يشاهده الناس جميعا علي اختلاف مشاربهم "حديث الإثنين" وكانت له أحاديث إذاعية وصحافية وقد كان يعطي الفتاة المسلمة حقها في الدعوة وفي رعايته التربوية والفكرية والدعوية لها ويرى أن تجاهلنا لدور المرأة ولبناءها البناء الإسلامي الرشيد في ظل معادلة متوازنة بين الحقوق والواجبات- يساعد خصوم الإسلام علي كسبها لصفوفهم ويخسر العمل الإسلامي والأمة المسلمة.

بإستقراءنا لكتابات الشيخ محمد الغزالي يمكننا أن نضع أيدينا علي أهم المرتكزات التي تدور حولها طريقته الإصلاحية، وينطلق منها منهجه الدعوي؛ وكان التدرج والتركيز علي الكليات أولى هذه المرتكزات، واستدل الغزالي على ذلك بأن القرآن الكريم لم يفرض الشائرفالفرائض مرة واحدة، إنما فرضها فريضةً فريضة مع مراعاة الوقت التي تفرض فيه، ثم التدرج في الفريضة نفسها، والأمر في المحرمات سواء بسواء.

كما ان هذا الامر واضح غاية الوضوح في سيرة الرسول ﷺ وفي منهجه الدعوى، فلا يخفى على أحد أن النبي ﷺ مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً يربى أصحابه على الأصول والكليات، وظل القرآن يتنزل عليه موجهاً الجماعة المسلمة الوليدة إلى الإيمان بالله تعالى، واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين، وأصول الأخلاق وأساسيات السلوك ومبادئ المعاملات، فنجد في كتابه "فقه السيرة" يلخص دعوة النبي ﷺ في بدايتها تحت عنوان "الإمّ يدعو الناس؟"، فيقول: و سور القرآن الذي نزلت بمكة تبين العقائد والأعمال التي كلف بها عباده وأوصى رسوله أن يتعهد قيامها ونماءها، وأول ذلك:1- الوجدانية المطلقة 2- الدار الآخرة 3- تزكية النفس 4- حفظ الجماعة المسلمة باعتبارها وحدة متماسكة تقوم على الأخوة والتعاون"١١-

فكان يغضب أشد الغضب إذا سمع بفرقة بين المسلمين، وكان يتغير لون وجهه إذا سمع باتجاه في المجتمع يجنح إلى الغلو والتنطع ويهمل مقاصد الإسلام، فكانت التوافه عنده في مكانها، كما كانت العظام في مكانها ومكانها.

وما أكثر ما عانت الدعوة الإسلامية المعاصرة من أمراض مهلكة تتورم فيها بعض التعاليم وينكمش بعض آخر، فتصبح العادة عبادة، والنافلة فريضة، والشكل موضوعاً، ومن ثمّ يضطرب علاج الأمور،

وتصاب الدعوة بهزائم شديدة- وما أكثر ما ضرب بعض أبناء الحركة رقاب بعض من أجل أمور لا تمس أصول الاسلام من جانب، وإنما حملهم على ذلك التعصب الممقوت والهوى المتبع والجهل المركب وإعجاب كل ذي رأي برأيه- وما أطول ما عاني داعيتنا الكبير من هذه الطرائق في الفهم، وما أكثر ماتحسر لها واحتدّ كذلك حرص الشيخ الغزالي على الإختلاط بالناس ومراعاة أحوال السائلين كمرتكز لمنهجه الدعوى، فكان يرى اعتزال الداعية عن الناس في ظل ما يحياه الإسلام من محنة جريمة نكراء وكبيرة من الكبائر، وكان يعدّه فراراً من الزحف ونكوصاً عن الجهادⁱⁱⁱ -

إن كثيراً من مسلمي العصر الحاضر كما يقول الشيخ الغزالي جمعوأشعب الإيمان في خليط منكر كبروا فيه الصغير و صغروا فيه الكبير وقدموا المتأخرو وأخروا المتقدم، وحذفوا شعباً ذات بال وأثبتوا أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، فأصبح منظر الدين عجباً، لا! بل أصبحت حقيقته نفسها حرية بالرفض^{iv} - إن الداهية الدهياء عند الشيخ أن يقف في محاريب الدين رجال على شاكلة 'الحطيئة'، وأن يتكلم بلسانه صنف من البشر إذا وقع الإنسان لسوء الحظ بينهم فكما يقع الطارق الغريب أمام بيت لا أنيس فيه، ما إن يقرع الباب حتى يقضم رجله كلب عقور^v - أولئك قوم يتمنون وقوع الخطأ من الناس حتي إذا زلت أقدامهم وثبتوا على المخطئ و ظاهر أمرهم الغضب لحدود الله، أما باطنه فالتنفيس عن رغبات الوحش الكامن في دماهم، يريد أن ينبح المارة ويمزق أديمهم، والويل للمسلمين يوم يشتغل 'الحطيئة' بالدعوة إلى الله^{vi} - وسبب هذا الخلل عند الشيخ الغزالي هو الجهل بالنسب التي تكوّن معالم الدين، وتضبط شعب الإيمان- بينما يرى العلاج لهذه الداهية الدهياء على حد تعبيره يتمثل في تزكية النفس الإنسانية، وحسن إدراك العقل البشري للحقائق كلها، وتربية الأجيال المنتمية للإسلام نفسياً وفكرياً، تلك التربية التي برز فيها السلف الأول، وأضحوا بها قادة ترنوا لهم الدنيا بإعجاب وحفاوة^{vii} -

إلى جانب مراعاته لتجنب الجدل والنقاشات الحادة، فالجدل قرين الضلال، وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، وكان يرى أنه لا يجوز لأمة أن تُؤكل من يمين وشمال وتهش فيها الذئب من كل جانب أن تشغل نفسها بالجدل والخصوص في الخلافات والنقاشات الحادة، وإذا كانت قاعدة صاحب المنار الذهبية التي تقول: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"

وأخيراً كانت المرأة تشكل مساحة واسعة من خريطة الفكر لدى الشيخ الغزالي، حتى أفرد لها كتاباً كاملاً أسماه "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة"، ولا غرو فأول من آمن على الإطلاق امرأة، وأول شهيدة

في الإسلام امرأة، وقد شهدت المرأة بيعة العقبة الكبرى، ودافت أشرف دفاع عن الرسول ﷺ في معاركه المختلفة، وقاتلت قتال الأبطال في البر والبحر.

إن التلطف مع الإناث والرفق بهن عند الشيخ آية اكتمال الرجولة ونماء فضائلها، وهو أدب يبذل للنساء عامة سواء كن قريبات أم غريبات، كبيرات أم صغيرات، ومع استقامة الفطرة الإنسانية قلما يتخلف هذا المسلك العالي^{viii}.

والنساء في فكره يرحمه الله مكلفات مثل الرجال ، وما من شيء يقوم به الإسلام وتعزز به أمته وكلف به مسلم إلا كلفت المسلمة بمثله. غير أمور محصورات استثنيت النساء منها، ولا تهدم أصل المساواة في التكاليف الشرعية، لكن تقاليد الشرق التي حصرت وظيفة المرأة في المتاع الحيواني قلما تهتم بهذه التكاليف^{ix}.

توفي الامام محمد الغزالي يوم السبت (9 مارس 1996م) في السعودية أثناء مشاركته في مهرجان الجنادرية الثقافي بالمملكة العربية السعودية، حول موضوع الإسلام وتحديات العصر، ودفن بالبقيع^x.

ⁱ قطب عبد الحميد قطب:مراجعة د- محمد عاشور: خطب الشيخ محمد الغزالي، ص 14

ⁱⁱ فقه السيرة: ص 110، 108، دارالدعوة ط ثانية. بتعليقات الشيخ الالباني.

ⁱⁱⁱ محمد الغزالي: الحق المر، مكتبة التراث، ص 118.

^{iv} مستقبل الإسلام خارج أرضه، ص 73.

^v تأملات في الدين والحياة، ص 188، دارالدعوة، الإسكندرية.

^{vi} المصدر السابق، ص 189، 188.

^{vii} مستقبل الإسلام خارج أرضه، ص 73

^{viii} ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ص 229. طبع دارالاعتصام، القاهرة.

^{ix} من هنا نعلم : ص 182 183 -دارالقطب الإسلامية،

- محمد المجذوب: علماء و مفكرون عرفتهم